

مذکرات

عمادِ حمدک

اشہر فتی شائشہ

○ ایریس نظمی



فريسيا
سينما أوبرا

سينا انترناشونال عاطف سالم وعمر ذو الفقار
تقدم

أحمد زكي في النمر الأسود

إخراج عاطف سالم



بطولة : فناء سالم
أحمد مظهر
قصة : أحمد أبو الفتح
سيناريو وحوار : بهير الديك
تصوير : إبراهيم صالح

اهداءات ٢٠٠٣

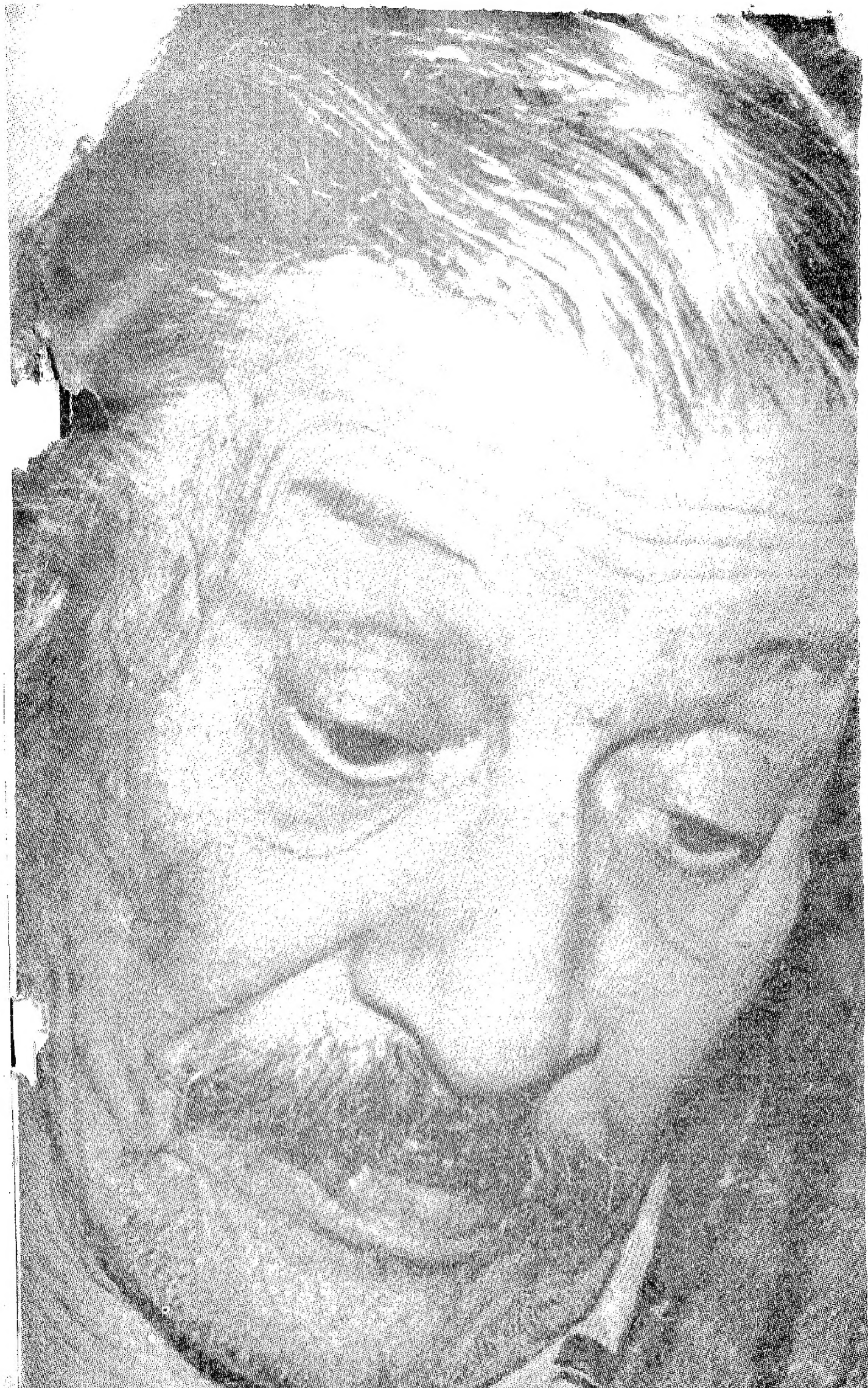
الفنان / إلهامي حسن

القاهرة

مذكرات عماد حمدي أشهر فتي شاشة



إيريس نظمى



مذكراته . . أغرب من كل أفلامه

رحل أشهر فتيان الشاشة المصرية . . فمهما جاء بعده من نجوم الفن . . ومهما حقق الممثلون من شهرة ونجاح . . ومهما حصلوا على جوائز . . سيظل عماد حمدي هو (الفتى الأول) الذي لن يتكرر كثيرا . . لقد غمره جمهوره بحب ليس له مثيل . . ولقد شعرت بذلك الحب الكبير عندما كنت أكتب مذكرات الفنان الكبير الراحل لمجلة آخر ساعة . . عشرات الرسائل كانت تصلني أسبوعيا من داخل مصر ومن خارجها . . من الدول العربية . . ومن أوروبا ومن أمريكا . . من مواطنين مصريين وعرب . . كل منهم يعرض خدماته . . كلمات مؤثرة كلها حب ووفاء للفنان الكبير . . جميعهم كانوا متالمين من أجله ومستعدين للمساعدة والمساهمة في علاجه . . كل منهم يسأل نفس السؤال - ما الذي أستطيع أن أفعل للفنان القدير الذي أسعدنا ؟ نريد أن نخفف عنه . . أن نقف إلى جانبه في أيام الوحدة . . ماذا نستطيع أن نفعل ؟ كيف نساعد ؟ كيف نخفف عنه آلامه النفسية ؟ وكنت أحمل الخطابات وأذهب إليه في شقته المتواضعة التي لا تليق بفنان كبير مثله . . لم يكن في أيامه الأخيرة قادرا على القراءة . . فقد بدأ بصره يضعف . . وكانت زوجته فتحية شريف هي التي تتولى قراءة خطابه . . والصحف اليومية . . الزوجة الأولى الوفيه (أم نادر) . . كانت دائما إلى جانبه . . وكنت أنتظر من الفنان الكبير ردا على هؤلاء المعجبين المشغولين به في أيامه الأخيرة . . والذين يعرضون عليه خدماتهم . . لكنه كان يكتفى بالصمت . . وكنت أحترم صمته . . لقد مرت عملية كتابه مذكرات عماد حمدي بمرحلتين . . المرحلة الأولى التي كان ما يزال فيها متمتعاً بصحته . . وقوة ذاكرته . . وروحه المرحه . . وبتعليقاته الذكية الساخرة . . كان ما يزال يشعر بدفء الحب الأسرى . . خاصة مع توامه الذي هو جزء منه . . الديبلوماسي (عبد الرحمن حمدي) . . الذي لم يكن متفقاً معه في الملامح والشكل

فقط . . بل كان متفقا معه أيضا في الطباع . . والعادات . . والأفكار . . يسعد إذا كان توأمه سعيدا . . ويحزن إذا كان حزينا . . حتى لو كانت تفصل بينهما الوفا الأميال .

كانت علاقة روحية قوية بين الاثنين . . وعندما اعتزل أخوه عبد الرحمن العمل الدبلوماسى كان مكانه الدائم شقة عماد حمدي حيث يمضيان معا أوقات الفراغ في لعب (الطاولة) . . وكانت أسعد لحظات عماد حمدي في أيامه الأخيرة هي تلك التي يقضيها مع توأمه وهو يحكي له بلباقة عن ذكرياته في الهند . . والصين . . والاتحاد السوفيتي وفي بقية البلاد التي زارها وعاش فيها بحكم عمله الدبلوماسى . . كان توأمه عبد الرحمن محدثا لبقا . . خفيف الروح . . لطيف المعاشرة . . فكان يخفف عنه كثيرا في الوقت الذي غاب عنه فيه أقرب الأصدقاء والزملاء . . وكان هناك سبب آخر لحضور توأمه الروحي إليه كل يوم . . قال لي عماد حمدي أن أخاه عبد الرحمن لم يكن مثله سعيدا في حياته الخاصة . . فكان يفضل أن يحضر إليه يوميا . . ليتبدلا الشكوى . . وليخففا عن بعضهما البعض . . لقد اتفقا في كل شيء . . في الشكل الخارجى . . وأيضا في الفشل في الحياة الزوجية . . تطابق غريب وعجيب لا يكاد يصدق عقل . . ولذلك كانت تلك المرحلة الأولى من لقاءاتى مع الفنان الكبير عماد حمدي . . كانت مرحلة طبيعية وعادية . . كنت لا أسأل كثيرا . . واكتفى بالانصات للفنان الكبير . . لباشكاتب استديو مصر وهو يحكى لي بذاكرة قوية حديدية كنت أحسده عليها . . ويسترسل دون توقف ذاكرا كل التفاصيل . . بل تفاصيل . . الأيام . . والأحداث . . والمواقف الحرجة . . والتواريخ . . والأسماء . . كان يتذكر كل شيء . . ولذلك لم أكن أسأل كثيرا . . واكتفى بتسجيل كلامه . . وذكرياته . . ورحلته الطويلة التي بدأت في استوديو مصر الذي كان يعمل فيه موظفا بعد تخرجه في كلية التجارة . . كانت حياته مشوقة بأحداثها . . اللقاء الهام مع طلعت حرب مؤسس استوديو مصر . . ثم اختياره لبعض الأفلام الإرشادية التي أنتجتها وزارة الصحة لتوعية الفلاحين . . ثم وقوفه أمام الكاميرا . . والفشل الأول . . ثم النجاح الكبير الذي جعل كل المخرجين والمنتجين يختارونه بطلا لأفلامهم . . قصة طويلة فيها مذاق النجاح في العمل السينمائى ومرارة الفشل في الحياة العائلية . . لماذا انفصل عن زوجته الأولى المنولوجست التي كانت شهيرة في زمانها (فتحية شريف) . . وقصة لقائه الأول مع الفنانة شادية في « قطار الرحمة » الذي

كان متجها إلى أقصى الصعيد حاملا مجموعة من المطربين والمطربات الذين تبرعوا لأحياء تلك الحفلات لأهداف وطنية . . وكان عماد حمدي كنجم سينمائي معروف مساهما بتقديم المطربين والمطربات في تلك الحفلات . . وكان لقاءه الأول مع الفنانة شادية . . وقصة حب من أول نظرة . . ومع عودة قطار الرحمة من رحلته الصعيدية . . تزوج عماد حمدي الفنانة شادية التي ظل حتى آخر أيامه يذكرها بالخير . .

فقد كانت تزوره من حين لآخر . . وتسال عنه باستمرار . كان دائما يحدثني عن امتنانه لها . . وتأثره بسؤالها عنه . . وكيف أنها أرسلت له سيارتها أكثر من مرة لكي تحمله إلى الطبيب . . والعجيب أن (الزوجة الأولى) فتحية شريف كانت دائما تتحدث بحب شديد عن (الزوجة الثانية) شادية . . دائما كانت تذكر خدماتها ومواقفها الانسانية في أيام الشدة . . والمرض . . والوحدة القاسية . . كان الاثنان متفقين في حبهما الواحد المشترك للرفيقة شادية . .

كانت تلك المرحلة الأولى من تسجيل مذكراته . . مرحلة ودية فيها التقاؤ . . والدفع الأسرى . . وايضا العمل السينمائي المتواصل . . فقد كان عماد حمدي مايزال مطلوبا في الاستديوهات والأفلام الجديدة . ثم توقفت بسبب ظروف خارجة عن إرادتي . . ولم أكن منتظمة في الذهاب إليه . . وعدت بعد أربع سنوات لكي استكمل بعض الجوانب الناقصة التي تصورت أنها ضرورية حتى تأخذ المذكرات شكلها الكامل . . عدت إليه لأشعر بجو مختلف . . وبظروف عكسية . . فقد حدثت في تلك السنين الأربع تغيرات كبيرة ومؤلمة في حياته . . فقد أعز الناس إليه . . توامه الروحي (عبد الرحمن) كان صدمة كبرى لم يقدر قلبه المريض على تحملها . . وأصابته حالة اكتئاب نفسي . . أصبح زاهدا في كل شيء . . بل وغير راغب في الحياة . . شعر بأنه فقد حياته كلها . وبدأت مرحلة العلاج . . لكن الياس المريع كان أقوى من كل شيء . . ومع الصدمة وإزدياد المرض . . وغياب الأصدقاء . . قلت أيضا فرص العمل . . بدأ يبتعد عن الاستديوهات . . وكان آخر أدواره (سواق الاتوبيس) . . والغريب أنه مات في الفيلم . . وعندما اقنعه المخرج على عبد الخالق وكاتب القصة والسيناريو محمود أبو زيد بالعمل في فيلم (العار) . . عمل فقط يوما واحدا . . لكن الجزء الذي تم تصويره احترق في المعمل ولم يعد صالحا . . وشعر عماد حمدي بعدم الرغبة في التصوير . .

و ذات مرة كنت ازوره ووجدته غير قادر على الكلام . . . وسالته لماذا لا تستدعون طبيباً - قال عماد حمدي بمرارة - (لأن الطبيب الذي يريحني الدكتور عوض . . . يرفض أن يتقاضى مني مليماً واحداً) ! في تلك المرحلة الثانية لاستكمال مذكرات الفنان الكبير . . . كنت اشعر في كل زيارة بانقباض نفسي شديد . . . فلم تكن الشقة المتواضعة التي يعيش فيها أيامه الأخيرة تليق بفنان مثله لدرجة اني لم اكن اجد حتى مكاناً اضع فيه جهاز التسجيل اثناء الحوار معه . . . حتى المقعد المناسب لم يكن موجوداً . . . وهذا ما كان يؤلمني . . . ذلك النجم الكبير الذي كسب الوف الألوف لم يعد يجد حتى تكاليف العلاج . . . فزيارة الطبيب تكلفه خمسين جنيهاً في المرة الواحدة . . . ولم يعد بإمكانه دفع ذلك المبلغ في كل مرة . . . وكان هو عزيز النفس يرفض رغم كل تلك الظروف أن يطلب مساعدة أو عوناً من أحد . . . حتى من المعجبين الذين ابدوا رغبتهم في مساعدته . . . رفض أن يطلب منهم شيئاً . . . وما كان يزيد من شعوري بالأسى أن ذاكرته لم تعد كما كانت قوية . . . أصبح يتذكر بصعوبة . . . اختلطت عليه الأيام والتواريخ والمواقف . . . وكانت مهمتي في تلك المرحلة الثانية أكثر صعوبة . . . فقد كان مطلوباً مني أن أذكره بما قاله في جلساتنا القديمة . . . وحواري معه كان دائماً مسجلاً . . . كان دائماً (جهاز التسجيل) الذي يبقى شاهداً على أن حوارى معه . . . ومذكراته التي خص بها آخر ساعة كانت واقعية خيالية وهمية ! كانت صورته الأخيرة التي انفرد بتصويرها الزميل أحمد عبد العزيز الذي رافقني اثناء لقاءاتي الأخيرة مع الفنان الراحل عماد حمدي . . . كانت تلك الصورة صدمة كبيرة لمئات والوف المعجبين . . . هزتهم هذا . . . أبكتهم . . . احزنهم كثيراً . . . لم يتوقعوا أن يروا فتى الشاشة . . . وفتى الأحلام القديمة . . . الذي يجد فيه كل فرد احلامه وذكرياته القديمة . . . صباه . . . وشبابه . . . واحلى أيام الماضى . . . شعر كل من احبه بالصدمة عندما رأى صورته الأخيرة . . .

وأذكر اني قلت له يوماً عندما رايت شعره مهوشاً غريب المنظر (استلا عماد . . . ممكن تسرح شعرك قبل التصوير) . . .

لكنه أشاح بيده بغير إهتمام . . . وترك شعره دون ترتيب . . . كان زاهداً في كل شيء . . . حتى في الأضواء . . . كسب الكثير . . . وخسر أكثر . . . ذاق حلاوة النجاح . . . وعرف مرارة الفشل في زيجاته الثلاثة . . . وحصل على أكبر الجوائز . . . لكن ماذا تفعل الجائزة الأدبية لفنان يعاني من أزمة مادية طاحنة . . .

وزادت حالته النفسية سوء - بعد وفاة زوجته الأولى الوفية (فتحية شريف) التى كانت دائما إلى جواره فى السنين الأخيرة . . بعد أن أصبح لا يقوى على قدميه . . كان وفاؤها رائعا . . عادت (أم نادر) لتشاركه محنته . . وشاءت الظروف أن ترحل هى عن الدنيا قبله بشهور . . وهذا ما جعل شعوره بالاكتئاب يزداد . . أصبح زاهدا فى كل شيء . . راغبا فى الموت وأذكر فى آخر لقاء لى معه . . كلماته المؤثرة : « لم أعد سعيدا بتلك الحياة . . ألم يحزن الأجل بعد . . لماذا ينسانى الموت ؟ »

وفى صباح السبت ٢٨ يناير ١٩٨٤ تحقق له ما أراد الراحة من تلك الحياة القاسية المؤلمة . . حياة بلا أصدقاء . . ولا أحياء . . حياة شغلت كل الناس . . كل إنسان أصبح مشغولا بنفسه . . لم يعد التليفون يدق كما كان فى أيام المجد والنجاح والصحة والعافية . . لم يعد أحد يسأل أو يهتم . . صوت الفنانة مديحة يسرى . . وصوت الفنانة شادية . . صوتان حنونان وحيدان كانا يسألان عنه . . فيشعرانه بأن الدنيا مازال فيها خير . . وأن الوفاء لم يمت كما يقولون . .

رحل نجم النجوم . . أشهر فتيان السينما المصرية لم يترك رصيда فى البنوك . . بل ترك رصيда من الحب فى كل القلوب . . لأنه كان قريبا منا جميعا . . نرى فيه الأب الحنون . . والأخ المخلص . . والصديق العزيز . . ترك لنا أكبر تركبة وأغناها (٤٥٠ فيلما) ستظل معها ذاكرة مجددة وباقية على الشاشة . . وفى كل القلوب التى أحبته وهو حى . . والتى تبكيه بعد رحيله . .

وداعا أيها الإنسان الكبير . . يا من كانت حياتك مأساة أكبر من المأسى التى قدمتها على الشاشة . . يا صاحب قصة الكفاح المريرة الطويلة . . قصة كفاح باشكاتب فى استوديو مصر استطاع بقوة الإرادة والعزيمة . . وبالموهبة . . وبالعامل المتواصل . . أن يصبح نجم النجوم . . وأشهر فتي من فتيان الشاشة . . وسيظل هكذا دائما حتى بعد غيابه عنا .

ايريس نظمى



والزوجة الأولى فتيحة وشقيقه النورام

ابنة خال وزوجة الابن

عماد حمدي يتوسط أسرته

العائلة الوفية



كسبت كثيرا . وخسرت أكثر . لم أشرك مليما في بنك . رصيدي
الوحيد ٤٥٠ فيلما من تلك الحياة التي عشتها بلا دم . وأرويتها
بلا خجل . والتي أعادتها دون أن أحمل في قلبي ضغينة لاي إنسان
حتى الذين أساءوا إلى . والذين تخلوا عني في أيامي الأخيرة . أحاول
أن أجد لهم عذرا . وأقول سامحهم الله جميعا .

عماد حمدي

الباشكاتب الذى أصبح الفتي الاول

● البداية كانت في الجنوب . . في سوهاج . . تلك المدينة التي استقر بها ابي عبد الحميد حمدي - بحكم عمله كمهندس في سكة حديد الوجهة القبلي . . حركة غير عادية داخل بيتنا . . فامي جاءها المخاض . . توشك ان تضع مولودها الاول . . ولا بد ان سعادة ابي في تلك اللحظات بالذات قد فاقت كل الحدود . . فبعد دقائق قليلة سيصبح ابي ابا . . ستنجب له امي طفلا او طفلة . . ان فرحة استقبال المولود الاول لا مثيل لها . . لكن ابي لم يكن يتوقع ابدا مثل هذه المفاجأة المدهشة التي اهتمزت لها المشاعر والقلوب . . فلم اكن وحدي الذي خرجت من بطن امي في تلك الليلة . . بل كان معي توامي . . اخي . . هكذا شاعت الاقدار ان نخرج معا إلى هذه الحياة في نفس الليلة . . بل في نفس الساعة .

وبعد هذا هدأت الزغاريد . . وبعد ان استعادت امي وعيها . . تقدم ابي نحوها . . وفي عينيه بريق الفرح . . وسالها :
— ماذا نسميهما ؟

قالت امي - نسمي الاول عبد الرحمن .
وعاد يسالها - والثاني ؟
وصمتت امي قليلا وهي تحاول ان تبحث عن اسم مناسب . . لكن ابي قال بحسم :

— سنسميه محمد عماد الدين .
ولم تعترض امي . . بل غطت وجهها الطيب ابتسامه راضيه عريضة . . فقد ادركت على الفور ان ابي قد اختار لي نفس اسم زوج اختها (محمد عماد الدين اسكندر) ذلك السلطان الهندي . . اقصد الذي كان سلطانا لهذه الجزر (ملاديف) الواقعة في الجنوب الغربي للساحل الهندي . . ويقال ان سكان هذه

الجزر هم اصلا من نسل الاسكندر الاكبر ، وقد اعتنقوا الاسلام مع دخول الدين الاسلامى إلى الهند . . لكن الانجليز قرروا عزل زوج خالتي محمد عماد الدين اسكندر وابعدوه عن الجزر كلها . . نفوه عن العالم الذى احبه . . فجاء ليستقر به المقام فى مصر . . ويقولون انه كان شخصا نادرا فى اخلاقه وادبه وتواضعه . . ولعل هذا هو السبب الذى جعل ابنى مصر على ان يسمينى باسمه . . من يدرى فقد اخذ عنه قدرا من اخلاقه الحميدة وادبه وتواضعه . . هذا على الاقل ما كان يتمناه ابنى فى تلك اللحظات . . وهكذا اصبحت احمل اسم السلطان الهندى . . زوج خالتي الذى ارغمه الانجليز على ترك الجزر القى كان محاطا فيها بكل الاجلال والاحترام .

ولم تكد تمضى ايام قليلة بعد مولدى انا واخى عبد الرحمن حتى صدر قرار بنقل ابنى من سوهاج الى القاهرة . . وفى شارع (على بك النجار) فى حى شبرا اقمنا داخل فيلا تحيطها حديقة كبيرة كانوا يسمونها (قصور الشوام) . . والحقنا ابنى بمدرسه حضانه اسمها (مدرسه مدام شكور) . . وكعاده معظم الآباء والامهات الذين يخشون على اولادهم من الحسد - البسونا ملابس البنات واطالوا شعرنا خوفا من الاعين الحاسده . . حاولت امى اخفاء حقيقتنا داخل ملابس البنات ، لدرجه ان معظم الجيران اقتنعوا فعلا باننا بنتان ولسنا ولدين . . ان معظم الآباء يتمنون ان تنجب لهم زوجاتهم ولدا واحدا . . لكن امى انجبت ولدين فى ليلة واحده . . توأمين . . وكان التمييز بينى وبين اخى عبد الرحمن مسألة صعبة شاقة للغاية . . فملاحننا واحدة ومتشابهة للغاية . . نسختان من صورة واحدة . . الفرق الوحيد بينى وبينه انه كان اسمن منى قليلا .

واهتم ابنى وامى بضرورة تعليمنا اللغات الأجنبية . . امى ارادت ان تعلمنا اللغة الفرنسيه التى تجيدها تماما بحكم ان امها كانت فرنسيه اصلا . . ولأنها ايضا كانت خريجه مدارس (الميردى ديبه) . اما ابنى فكان يرغب فى تعليمنا اللغة الانجليزيه التى يجيدها بحكم دراسته فى (السنترال بارى) . . وهكذا بدأنا نتعلم الانجليزيه التى اخذناها عن ابنى . اما اللغة الفرنسيه فقد ورثناها عن امى . .

التحقت مع اخى عبد الرحمن بمدرسه عباس الابتدائيه ، وكلما تقدمنا فى دراستنا كان اصرار ابنى يزداد مؤكدا ضرورة اتقاننا للغة الانجليزية اتقاننا كاملا . وقرر ان يعهد بهذه المهمة إلى مدرس متخصص فى تدريس اللغة الانجليزية . وكان هذا المدرس هو الاستاذ بديع خيرى . . وكان وقتها مدرسا شابا تعجب به الفتيات والسيدات . .

بدليل* ان ناظرة مدرسة (السلطان .حسين) كانت من أشد المعجبات به .
وبدأنا في تلقي الدروس على يد أول (مدرس خصوصى) يدخل بيتنا - الاستاذ بديع
خيرى . . وبفضله تطورتا كثيرا وأصبحنا نجيد القراءة والكتابة باللغة الانجليزية .
وبعد ان حصلنا على الشهادة الابتدائية انتقلنا إلى شارع آخر اسمه (شارع
قطه) . . وإلى بيت آخر كانوا يسمونه (بيت الكونت شديد) . وكانت أهم مزاياه
غرفه الواسعة الكبيرة ، وموقعه الفريد الذى يجعله يطل على اكثر من شارع . وفى هذا
البيت . . وفى شارع قطه بالذات عشت مرحلة الصبا بكل ذكرياتها وأيامها الحلوة
الرائعة .

انها اجمل سنوات عمرى . سنوات البراءة . . والنقاء . . والاحلام . .
سنوات الانطلاق والاستمتاع بمباهج الحياة . اسعد اوقاتي هى تلك التى كنت
اقضيها متعلقا بباب الترام . . لم يكن تراما بالمعنى المفهوم - بل كان عبارة عن
اتوبيس اخضر اللون يسمونه (السانت كروفت) . . بسته مليمات فقط اركبه
واستمتع بجولة طويلة حتى نهاية الخط ، اشاهد خلالها العديد من المناظر
الجميلة المفرحة . . بعد مدرسه شبرا كانت تبتشر الحداثق وتمتد الحقول
الخضراء بلا نهاية . . وايضا كان يوجد التبرو المخصص لصيد الحمام وسط
المزارع ، وكان يملكه شخص أرمنى الجنسية يدعى جارابديان .

ورغم اننا لم نكن اثرياء مثل الباشوات والبهوات . . الا اننى كنت أشعر بفخر
طفولى عندما اقول امام الاطفال الآخرين اننى ابن عبد الحميد (بك) حمدى . ولم
اكن اكذب عليهم ، فقد كان أبى قد حصل بالفعل على لقب (بك) ليس عن طريق
الرشاوى والعلاقات الخاصة ، لكن عن أحقية وجدارة واستحقاق . . كان من حق الذى
يصل إلى الدرجة الثانية ان يحصل على هذه الرتبة بحكم درجته الوظيفية .
وعندما انهينا السنة الدارسية الثانية بمدرسة التوفيقية صدر قرار بنقل والدى
مهندسا بسكة حديد اسيوط . وكان لابد ان نذهب معه إلى هناك - قريبا من المكان الذى
رأينا فيه نور الحياة لأول مرة فى سوهاج . . وقضينا فى اسيوط عاما كاملا . . ثم عدنا
إلى القاهرة . . إلى مدرسة التوفيقية فى شبرا . . مرة أخرى .



لكن المحيطين بنا كانوا يعتبروننى انا وأخى عبد الرحمن ظاهرة غريبة
تستحق الاهتمام . . او على الاقل تستحق (الفرجة) . . فنحن لا ننفصل
ابدا . . هو دائما معى فى نفس العام الدراسى . . وانا دائما بجانبه داخل
الفصل . . اذا نجحنا ننجح معا . واذا رسبنا نرسب معا . . واذا جاء ترتيبه

(الثانى) مثلا - يكون ترتيبى الثانى مكرر أو الثالث على اكثر تقدير . واذا جاء ترتيبه الثالث مثلا يكون ترتيبى الثالث مكرر أو الرابع على اكثر تقدير . واذا كان هو السابع فى ترتيب الناجحين اكون انا السابع مكرر دائما . .
 دائما معا خطوة بخطوة . . توأمان فى كل شئ - حتى فى حبنا الشديد للألعاب الرياضية . . فعندما أصبحت انا (كابتن) المدرسة فى نشاط (القسم المخصوص) الرياضى - يصبح هو (كابتن) فريق كرة القدم . .
 وربما كان الفرق الوحيد بينى وبينه فى تلك الفترة هو حماسى الزائدة لفن التمثيل .
 ففى مدرسة التوفيقية الثانوية بدأت تظهر هواياتى الفنية . . وسارعت بالانضمام إلى فريق التمثيل بالمدرسة - وكان الاستاذ عبد الوارث عسر هو الذى يعلمنا الاداء التمثيلى - وبفضله تعمق فى وجدانى حب الفن . . واذكر اننا قدمنا ايامها احدى مسرحيات شكسبير التى كانت مقرر على طلبة السنة النهائية (البكالوريا) - وقد أدت فيها دورا من ادوارها الهامة وقدمنا العرض على مسرح الازبكية . .
 لكن الغريب انى لم اكن أحلم فى ذلك الوقت بأن أصبح فنانا .

ليتنى اصبح طبيبا !

كانت امنيتى الكبرى ان التحق بكلية الطب بمجرد حصولى على شهادة (البكالوريا) . اقصد الالتحاق بمدرسة الطب العليا . . فقد كان ذلك هو اسمها فى ذلك الحين . . فمهنة الطب مقدسة . . عمل انسانى ليس له مثيل . . شئ رائع ان يشارك الانسان فى تخفيف آلام الآخرين من حوله . . وان يجفف دموعهم . . ويضع حدا لاحزانهم . . ويعيد الابتسامة الغائبة الى وجوههم العابسة .
 اننى انتظر ذلك اليوم الذى سأرتدى فيه المعطف الأبيض ، واضمعا فوق اذنى السماعة التى سأسمع من خلالها نبضات الألم فى قلوب وأجساد المرضى المتعبين .
 ما اروع تلك اللحظة التى استجيب فيها لنداء ملهوف فى منتصف الليل . اريد ان اجرب شعور الراحة العميق الذى يشعر به الطبيب عندما ينقذ حياة انسان ويبعد عنه الخطر القاتل . ليس هناك ما هو أنبل من هذه المهنة الانسانية . . مهنة الطب .
 وأخى عبد الرحمن كانت تراوده أيضا نفس الامنية . . الالتحاق بمدرسة الطب العليا . لكن ليس كل ما يتمناه المرء يتحقق بسهولة .
 وذات ليلة قررنا ان نفتح أبى فى هذا الامر . . وبمجرد ان قلنا له :
 — نريد ان نلتحق بمدرسة الطب العليا .
 حتى رد صائحا :

ومن اين احصل على المال الذى يكفى الانفاق على دراستكم فى مدرسة الطب العليا ؟ هل نسيتم ان لكم ستة إخوة واخوات ؟
اليس من حقهم ايضا ان يتعلموا ويكملوا دراستهم مثلكم ؟ وهل نسيتم اننى اصبحت الآن على المعاش ؟ وان مواردنا المالية اصبحت محدودة للغاية ؟ وهل تجهلون ان مصاريف مدرسة الطب العليا بالذات باهظة جدا ، وان كتبها غالية الثمن ؟ لماذا لا تبحثون عن مدرسة عليا اخرى ؟

وقلنا فى صوت واحد :

— نريد ان نلتحق بمدرسة الطيران

— لكن ابنى رد قائلا :

— مش عايز تخريف . .

ثم اعلن قراره النهائى :

— سالحقكم بارخص المدارس العليا فى مصر . . ان مدرسة التجارة العليا لا تزيد مصاريفها عن ١٢ جنيها فى العام . وليس امامكم الآن غيرها .
ولم نعترض . . بل لم ننطق بكلمة واحدة . . فنحن لم نتعود هذا النوع من المعارضة داخل بيتنا . . كلمات ابنى اوامر يجب ان تطاع فى الحال . . اننا حتى لا نجرؤ على الجلوس امامه . نظل واقفين لفترات طويلة حتى يأذن لنا بالجلوس . بل وكنا نجرى كالفئران المذعورة كلما سمعنا صوت مفتاحه وهو يتحرك فى الباب معلنا عن وصوله .

كانت شخصية ابنى قوية جدا إلى الحد الذى يجعلنا غير قادرين حتى على مناقشته . هكذا كان يتصرف جيلنا محتفظا فى اعماقه للآباء والامهات بكل هذا الاحترام الذى يقترب من درجة التقديس . . ولم يكن امامى انا واخى سوى الرضوخ لهذا الامر الواقع . وبدانا نستعد للالتحاق بمدرسة التجارة العليا .
وخصص ابنى لكل واحد منا مصروفا شهريا قدرة نصف ريال . فقد كان من المقتنعين بتلك الفكرة التى تقول ان (كثرة المال تفسد العيال) . وبالطبع لم يكن هذا المصروف (الرمزى) كفى . . وكنت اضطر فى اغلب الاحيان للذهاب إلى مدرسة التجارة العليا سيرا على الاقدام .

ولكم ان تتصوروا المسافة التى كلن محتما علينا ان نقطعها كل يوم ذهابا وايابا من حى شبرا إلى شارع الشيخ ريحان الذى توجد به مدرسة التجارة العليا . وكلما نعبت اقدامنا تذكرنا تلك الحكمة التى تقول (اطلبوا العلم ولو فى الصين) . . وحمدنا الله كثيرا على ان مدرسة التجارة العليا فى شارع الشيخ

ريحان وليست في الصين . .
وكان لا بد ان نواصل رحلة كل يوم . . رحلة البحث عن العلم . . مهما كانت
شاقة ومرهقة .

لكن ماذا يفعل نصف الريال ؟ اذا كانت حلقة شعري مرة واحدة في الشهر
تكلفني شلنًا كاملاً ؟ اننا لسنا مسرفين بطبيعتنا ، ونطبق تطبيقاً دقيقاً المثل
القائل (على قد لحافك . . مد رجلك) . لكن ماذا يفعل نصف الريال طوال شهر
كامل ؟ وكانت امي هي الملجأ الوحيد . . انقذتنا كثيراً من الافلاس . . فقد
خصصت لنا نوعاً من (المصروفات السرية) التي لا يعلم ابي عنها شيئاً . .
وكان هدفها انسانيًا رائعاً . . دعم موقفنا المالي السيئ والمفاهيم . . ولولا
هذه (المعونات) التي ظلت امي تقدمها لنا من حين لآخر - لولاها لحدثت لنا
بالتأكيد كارثة . ما اروع حنان الأم في مثل هذه الحالات .

ووضعت مع اخي خطة مشتركة من أجل دخول نادى التجارة العليا الذي كان اشهر
نوادي مصر في ذلك الوقت . ونجحنا اخيراً في الوصول اليه ، لكي نتناول داخله طعام
الغداء او العشاء . وأصبحت وجبتنا الدائمة المفضلة هي ذلك (الطاجن) المغذي
الذي لا يكلفنا سوى شلن واحد فقط . وبعد ان نشبع نذهب الى شارع فؤاد (٢٦
يوليو الآن) لكي نركب الترام بستة مليمات . . ثم نعود إلى شارع قطة . . في شبرا .

عندما ضربني ابي . .

وفي مدرسة التجارة العليا ايضاً - ظللت انا واخي عبد الرحمن محورا لحديث
الناس ودهشتهم . . فنحن مازلنا ملتزمين بالقاعدة القديمة - ان ننجح ونرسل معا .
وهذا بالطبع يحدث دون اى اتفاق مسبق . . لكنها الصدفة العجيبة التي لا تتكرر
كثيراً .

كانت هناك مجموعتان - الاولى اسمها المجموعة الاقتصادية وتضم ثلاثة علوم . .
اما المجموعة الاخرى فهي مجموعة المكتبات وتضم ثلاثة علوم اخرى . . والذي يرسل
في هاتين المجموعتين من المستحيل ان يحصل على مجموع . .

لكن الذي حدث اننا رسبنا معا في المجموعتين واكملنا ايضاً امتحان الملحق . . ثم
نجحنا معا ايضاً . . وكان ذلك شيئاً غريباً ومثيراً للدهشة في رأى الذين يعرفوننا .
ان هذا التشابه الشديد والدقيق في ملامحنا اوقعنا في مشاكل ومتاعب لا تحصى .
فاذا حدث مثلاً ان اخطأ اخي عبد الرحمن واراد ابي ان يعاقبه . . وتصادف ظهوري
في تلك اللحظة امام ابي . . فانه يضربني على الفور بدلاً منه . . وانا للعقاب الذي

كان مفروضاً أن يناله أخى . .

فحتى أبى كان أحيان كثيرة غير قادر على التمييز بيننا بسهولة . . وما أكثر المفارقات المضحكة التى كانت تحدث نتيجة لذلك التشابه الشديد بينى وبين أخى عبد الرحمن .

حدث مثلاً فى إحدى المرات أن تقدمنا لامتحان شفوى فى اللغة الانجليزية ، وكان المدرس الذى يشرف على الامتحان . . كان انجليزياً اشتهر بقسوة وغلظته . . ويكفى أن أقول أن مجرد ذكر اسمه كان يملأ قلوبنا رعباً . . فكيف ننسى أنه كان سبباً فى حرمان كثير من الطلاب من الحصول على البكالوريوس بسبب شدته وقسوته . المهم أن أخى عبد الرحمن دخل قبلى لكى يؤدى الامتحان . . وليسبقنى فى مواجهة ذلك المدرس الانجليزى الشرس . . وبعد أن انتهى من أداء الامتحان خرج . . ثم دخلت أنا بعده بحوالى ربع ساعة . . وانزعجت عندما وجدت المدرس الانجليزى القاسى القلب يركز نظراته على وجهى وهو يتفحصنى باهتمام . . ثم بادرنى قائلاً :

— أين رايتك قبل الآن ؟

فقلت بأدب :

— لا اظن انى قابلت حضرتك من قبل

فعاد يسألنى :

— ألم امتحنتك فى مرة سابقة ؟

قلت باصرار :

— لا اظن ذلك .

ووجدت الشك والحيرة فى عينيه الزرقاوين . . واعطانى الكتاب قائلاً بغيظ واضح :

— اقرأ . .

وبدأت اقرأ من الكتاب . . لكنى اضطررت للتوقف عندما صاح المدرس الانجليزى

فجأة

ستوب !

وسرى الخوف فى بدنى كله . . وقلت لنفسى :

اللهم اجعل هذا اليوم يمر على خير . . لقد سمعت كثيراً من الحكايات المريبة

عن هذا المدرس بالذات . . فهل سأكون أنا أحد ضحاياه ؟

وتطلع المدرس صاحب الوجه الاحمر نحوى قائلاً بغضب زائد :

— لا . . لقد امتحنتك من قبل . . وعدت الآن لكى تؤدى الامتحان بدلاً من

شخص آخر .

وحاولت ان اشرح له الامر . . فعاد يصيح :

— تريد ان تخدعنى . . اليس كذلك ؟

وقلت لنفسى . . لقد وقع المحذور . . ولن اقلت من عقاب هذا المدرس القاسى

القلب . . وقلت فى محاولة مستميتة للدفاع عن النفس .

— ان لى اخا شقيقا يشبهنى تماما .

ويبدو انه تصورنى اسخر منه او اضحك عليه . . فقال ساخرا :

توأم ؟

انه لا يصدقنى . . اين اخى عبد الرحمن ؟ ستكون كارثة اذا لم اعثر عليه .

اذا كان قد خرج من لجنة الامتحان واتجه فورا الى البيت . وجريت كالمجنون

ابحث عنه . . يجب ان أجده . . انه منقذى الوحيد . . وشاهدى الأمين . . اذا

عدت بدونك فساصبح بالتاكيد احدث ضحية لهذا المدرس الانجليزى المرعب الذى

يعمل له جميع الطلبة الف حساب .

وكدت اقفز فرحا عندما وجدت اخى عبد الرحمن مايزال واقفا بالقرب من

الغرفة التى كان يجرى فيها الامتحان . وجذبتة بسرعة وادخلته معى وهو

لا يفهم ما حدث . . بل وجد نفسه يقف مرة اخرى امام المدرس الانجليزى الذى

نظر الينا مشدوها . .

وقلت وانا التقط انفاسى :

— هذا هو شقيقى التوأم .

فقال وهو يبتلع غيظه :

— او كى .

وجمدت الله ان هذا الموقف قد مر دون ان يصدر قرار بفصلى او حرمانى من

اكمال الامتحان .

وحدث مرة اخرى ان طلبوا منى صورة لوضعها داخل (الكارنيه) الذى يثبت انى

طالب . . ولم أجد صورة خاصة بى فأخذت صورة اخى . . أنها لا تختلف أبدا عن

صورتى . . فالتشابه بيننا شديد . . لدرجة ان احدا لا يفرق كثيرا بين صورتى

وصورته . . وهذا ما حدث فعلا . .

ومر الموقف بسلام دون ان يفطن احد إلى ان الصورة التى بداخل (الكارنيه) الذى

يخصنى ليست صورتى . . بل هى صورة اخى .

البحث عن طريق

نسيت ان اقول اننى واصلت اشباع هواياتى الفنية فى مدرسة التجارة العليا من خلال الفرقة المسرحية التى كانت فى ذلك الوقت من اقوى فرق الهواة . . ويبدو ان الكلمات الطيبة المشجعة التى كنت اسمعها دائما من الآخرين الذين شاهدونى اثناء ادائى للدوار التمثيلية - يبدو ان هذه الكلمات هى التى جعلتنى افكر جديا فى العمل مع احدى الفرق المسرحية الكبيرة . . ولكن إلى اى الفرق انضم وانا مازلت هاويا ومغمورا ؟

كانت اهم الفرق المسرحية فى ذلك الوقت (فرقة رمسيس) و (فرقة جورج ابيض) و (فرقة على الكسار) و (فرقة فاطمة رشدى) و (فرقة منيرة المهدية) . لكن لم اكن اجرؤ اطلاقا على طلب الانضمام إلى احدى هذه الفرق . فمن اكون انا إلى جانب هؤلاء العمالقة ؟

ولم اجد امامى سوى فرقة (انصار التمثيل والسينما) التى كان يشرف عليها الفنانان الكبيران سليمان نجيب وعبد الوارث عسر . . انها النافذة التى سأتنفس وسأستنشق من خلالها عير الفن المسرحى . فهى اولا تفتح قلبها لهواة التمثيل من امثالى .

اما السبب الثانى الذى شجعنى فهو وجود الاستاذ عبد الوارث عسر الذى كان اول من علمنى الالتقاء المسرحى .

لكن اهم حدث فى تلك الفترة كان انتهائى انا واخى عبد الرحمن من دراستنا فى مدرسة التجارة العليا ، وحصولنا على شهادة البكالوريوس . لقد انتهت مرحلة الدراسة بكل احلامها وذكرياتها السعيدة والمريرة . واصبحنا نقف على ابواب مرحلة جديدة مختلفة تماما . . وكان لا بد ان نبحث عن اجابة لذلك السؤال الذى يواجه كل الذين ينتهون من دراستهم .

— ماذا سنفعل الآن ؟

وقال اخى عبد الرحمن :

— لا احب العمل الوظيفى .

قلت :

— وانا ايضا .

وبعد تفكير طويل قررنا ان (المشروع التجارى) افضل كثيرا من الوظيفة التقليدية . . فكرة لا بأس بها . . ولكن كيف ؟ واين هو رأس المال ؟ لقد استنفد

ابى كل جهده وطاقته في تعليمنا ومساعدتنا على اكمال دراستنا العليا . . لقد ادى دوره الابوى العظيم نحونا على خير واكمل وجه . . وليس معقولا ان نطالبه الآن وبعد التخرج بمثل هذه المساعدات المادية التى تفوق امكانياتنا الاسرية . كنا قد قررنا ان نفتح (مكتب اعلان) يتولى نشر الاعلانات في الصحف . . فمثل هذه المكاتب الاعلانية محدودة جدا ، يشرف عليها اساسا بعض اليهود . . انه مجال جديد امامنا . .

ولكن اين هو رأس المال ؟ ومن الذى سيساعدنا ؟ اخيرا وجدنا الحل . . وقلنا في صوت واحد .

— (طلعت حرب باشا) .

كان بنك مصر قد انشئ في ذلك الوقت بشركاته المتعددة برعاية وتشجيع طلعت حرب باشا . وكان هناك اتجاه قوى لتشجيع الشبان الذين انهوا دراستهم العليا على العمل في المشاريع الجديدة المفيدة . . ومساعدتهم على شق طريقهم في الحياة .

ونحن انهينا دراستنا . . ونريد ان نشق طريقنا في هذه الحياة . . يدفعنا الأمل . . ويحركنا الطموح . . والرغبة القوية في اقتحام المجهول - والانطلاق نحو المستقبل المشرق . .

وتطلعت نحو أخى عبد الرحمن وقلت بتصميم . .

— غدا . . سآذهب لمقابلة طلعت حرب باشا . .

زفة وداد غيرت مجرى حياتى !

لم أكن أتصور أن لقاىى مع طلعت حرب باشا سيتم بمثل هذه السرعة - وبكل تلك السهولة . ووجدتنى جالسا أمامه ، بينما هو يرمقنى باهتمام عطوف . وقلت له :

— يا باشا . . نحن من خريجى مدرسة التجارة العليا . . ونريد أن نفتح مكتبا للإعلان الصحفى . . لكن المشكلة أن امكانياتنا المالية محدودة . . ولهذا جئنا أطلب المساعدة من سعادتك . .

ولم أكد انتهى من كلامى حتى كان طلعت حرب باشا قد أمر بمنحنا كل الاعلانات الخاصة بشركات بنك مصر . . بضعة ألوف من الجنيهات - كانت رأس المال الذى قررنا أن نبدأ به لمشروعنا الجديد . . فالحقيقة أننا لم نكن نمتلك مليما واحدا عندما قررنا البدء فى تنفيذ هذا المشروع - فالحصول على أدوات الرسم وبقية تجهيزات المكتب كانت مشكلة كبيرة تواجهنا . . لأننا لم نكن قادرين أبداً على شراء هذه الأدوات والتجهيزات ، لدرجة أننى فكرت فى الاستعانة بأدوات الرسم الموجودة فى غرفة أبى المغلقة منذ فترة طويلة - لقد كان مهندسا فى السكة الحديد . . ولم يعد يستعمل هذه الأدوات بعد أن بلغ سن المعاش . فلماذا لا استعين بهذه الأدوات التى تزدهم بها غرفة أبى المغلقة ؟ .

ولكنى لم أجرو على طلب ذلك مباشرة من أبى . . خجلت أن أعلن له عن رغبتى فى استخدام نفس الأدوات التى كان يستعملها . . وذهبت إلى عمى طالبا مساعدته . .

قلت له :

— أنت تعرف يا عمى أن أبى لم يعد يستعمل هذه الأدوات التى نحن فى أشد الحاجة إليها فى مشروعنا الجديد . . لكنى أخجل أن أطلبها منه . .

وساعدنى عمى فى الحصول على أدوات الرسم - ليس عن طريق اقناع أبى . . بل

عن طريق كسر باب الغرفة المغلقة - دون أن يعلم أبى طبعاً بما حدث .
وحملت أدوات الرسم التى كان يستعملها أبى . . وأخذتها إلى المكتب الذى
افتتحناه لشركتنا الوليدة فى شارع شريف بالتعاون مع زميلين لنا . وكانت منحة
اعلانات شركات بنك مصر التى أمر طلعت حرب باشا بتقديمها لنا ، كانت الدافع
القوى الذى جعلنا نخطو الخطوة الأولى الواسعة فى مجال الحياة العملية .
واستطاع مكتب الاعلان الصحفى الجديد فى شارع شريف ان يفرض وجوده
بسرعة . . ولكن كان لا بد أن نخطو خطوات أخرى أوسع فى طريق النجاح ، ولذلك
قررنا أن نطور نشاطنا بدخول مرحلة تنفيذ اعلانات وافتتاح الشوارع بعد نجاحنا فى
تنفيذ اعلانات الصحف . وفى هذه اللحظة بالذات فوجئنا باستدعاء عاجل من سعادة
طلعت حرب باشا . وذهبت مرة أخرى للقائه وأنا أحاول أن أسبق الاحداث واضعاً فى
ذهنى كل الاحتمالات . . لا اظن انى سأسمع نبأ سيئاً ، فطلعت حرب باشا هو الذى
ساعدنا . . ولولاه ما كنا حققنا هذا النجاح . . بل هو أيضاً الذى ساعد عشرات
الشبان الآخرين الذين أنهوا دراساتهم العليا وأرادوا أن يشقوا طريقهم فى الحياة . .
هو الذى فتح امامنا أبواب الأمل . . ويسر لنا امكانيات العمل .
ووجدت نفسى جالساً مرة أخرى أمام طلعت حرب باشا . . وفوجئت به يقول
لى :

— ما رأيك لو نضم هذه الشركة - يقصد شركة الاعلان - إلى شركات بنك مصر ؟
وقبل أن استوعب كلماته . . عاد يقول :

— وساعينك مديراً لهذه الشركة . .
لكنى اعتذرت بصورة مهذبة . . وانصرفت ولم ادرك وقتها أن قرارى هذا كان
متسرعاً لم يصدر بغير تفكير عميق . .
فقد استطاع طلعت حرب باشا أن يقنع زميلينا وشريكينا الآخرين اللذين عملا
بالفعل فى شركات بنك مصر .

وأصبحت أنا وأخى عبد الرحمن داخل مكتب شارع شريف . وكان من الصعب
الاستمرار وحدنا . . وكان لا بد أيضاً أن نعلن افلاسنا واغلاق مكتبنا بمنتهى
الروح الرياضية . وعدنا لنفس السؤال القديم . ما الذى سنفعله الآن ؟
ولم يكن امامنا سوى البحث عن وظيفتين جديدتين . . ووظيفة لى . . ووظيفة
له . . وعمل أخى عبد الرحمن فى الجمعية الزراعية الملكية . . أما أنا فقد عملت
فى مستشفى أبو الريش .

ودخلت مستشفى أبو الريش

في اللحظة التي دخلت فيها مستشفى أبو الريش للمرة الأولى ، تدافعت الأحلام القديمة داخل عقلي . . تذكرت حلمي القديم الكبير الذي لم انجح في تحقيقه . . واليوم الذي افصحته فيه عن رغبتى القوية في الالتحاق بمدرسة الطب العليا . لكن أبى اعترض بحجة أن مصاريفها باهظة - واختارنى مدرسة التجارة العليا التي التحقت بها مرغما حتى لا أصبح عقبة في طريق بقية اخوتى وأخواتى الذين يريدون أن يكملوا دراستهم العليا مثلى .

وهانذا اليوم اتسلم عملى الجديد في مستشفى أبو الريش . . أدخل ذلك العالم المحبب إلى نفسى الذى كنت أتمنى أن اقضى فيه كل سنوات العمر القادمة . . أدخله ليس كطبيب . . ولا حتى كتمورجى . . بل كموظف حسابات . . كم أكره هذه الحسابات اللعينة . . وهذا اليوم الذى التحقت فيه بمدرسة التجارة العليا . لكن كان عزائى الوحيد اننى سأعيش وسط الاطباء . . والمرضى . . والادوية . . وغرف العمليات . . وأصبحت «باشكاتب» مستشفى أبو الريش . . وتوثقت علاقاتى بسرعة مع زميلى سيد على - وأيضاً مع الاطباء وخاصة الدكتور مصطفى الديوانى الذى كان وقتها طبيباً شاباً . . وكنت سعيداً بحب الاطباء لى .

قد تكون هناك بعض المناظر التى يراها البعض مؤذية ومؤلمة خاصة منظر جثث الموتى الممدة داخل (المشرحة) . . ومنظر تسليم الأطفال اللقطاء الذين ليس لهم آباء وأمّهات معروفون .

لكنى بالتأكيد كنت استفيد واتعلم واضيف لنفسى خبرات انسانية وعلمية جديدة . . كنت اتابع بشغف زائد تصرفات الاطباء في المواقف المختلفة التى كان من المفروض ان اعايشها . . لو كنت قد نجحت في الالتحاق بمدرسة الطب العليا . . فدائماً الاحظهم بدقة وهم يفحصون المرضى . . بل وكنت أحرص على ان اكون قريباً منهم حتى داخل غرفة العمليات . انها (فرجة) ممتعة جداً لى . وساعدنى على اقترابى منهم اجادتى الواضحة للغة الانجليزية التى كنت اكثب لهم بها معظم رسائلهم . لكن عالم مستشفى أبو الريش الذى استهوانى لم يبعدنى عن الفن . فعادة ما كنت أذهب لفرقة انصار التمثيل والسينما لكى أشبع هوايتى الفنية القديمة - وإلى جانب التمثيل بدأت أعشق الموسيقى مثل اخى عبد الرحمن . والتحقت بمدرسة (فيجرمان) التى كانت يدرس لنا فيها مدرسون قادمون من بولندا . معظم الموسيقيين الكبار درسوا بهذا المعهد . الأستاذ عبد الوهاب نفسه استفاد منه .

وبدأت ادرس بجدية الموسيقى بأصولها العلمية . . وأصبحت اجد العزف على البيانو . . وافهم جيدا النوتة الموسيقية ، بل وقررت أن أدرس الهارموني . وتماديت في الاحلام عندما تصورت انى أستطيع أن أكون اوركسترا أيضا .

كان الجميع يشجعوننى عندما يسمعون عزفى المتقن لمقطوعات بتهوفن وباخ وموزار . لكن ظروف العمل لم تساعدنى كثيرا بعد ذلك على الاستمرار فى التدريبات الموسيقية . ومن يدري . . ربما كنت سأصبح موسيقيا ناجحا لو كنت واصلت التقدم فى هذا المجال . وأصبحت اكتفى بالسماع . . ولم يكن يفوتنى اى حفل موسيقى لآى فرقة اجنبية زائرة .

كنت حائرا بين حين . . حب الموسيقى . . وحب التمثيل . . وكان يشاركنى هواياتى الفنية صديقى صلاح ذهنى (وهو غير الكاتب صلاح ذهنى) - واذكر انى قلت له ذات مرة :

ما رايك يا صلاح لو نعمل معا على ترجمة بعض المسرحيات العالمية ثم نقدمها بعد ذلك للفرق المسرحية الكبيرة .

فقال :

— موافق . . ولكن لابد من البحث عن النصوص الجيدة .

قلت :

— لقد عثرت على نص مسرحى رائع جدا اسمه (الفوغاء) للكاتب المسرحى جون جالزورزى . . لقد اعجبنى لدرجة انى اتمنى أن اترجمه . . انه يضم شخصية مدهشة جدا تصلح لجورج بك ابيض .

وبدأنا على الفور فى ترجمة مسرحية (الفوغاء) . لكن قرارا صدر بنقل صديقى صلاح ذهنى للعمل فى الفيوم . ورايت الأسف على وجهه وهو يقول :

— خسارة . . لن نستطيع أن نكمل ترجمة المسرحية .

قلت معترضا :

— لا . . بل لا بد ان نكملها .

وتسأل :

— كيف ؟

قلت :

— اذهب لك مرة كل اسبوع لزيارتك فى الفيوم . . ثم تحضر لى انت مرة أخرى فى القاهرة . . وبهذه الطريقة يمكن أن ننجز العمل وننتهى من الترجمة فى الوقت المحدد .

وبدأنا ننفذ الاتفاق . . . أذهب إليه مرة في الفيوم . . ثم يحضر هو مرة إلى القاهرة . . لم يكن الطريق الصحراوي قد مهد وشق بعد . فكنت أذهب إليه عن طريق البدرشين .

الزفة التي غيرت اتجاهي !

وما زلت أذكر ذلك اليوم الذي كنت أركب فيه السيارة المتجهة إلى البدرشين - حين شاهدت من نافذة السيارة المسرعة اعلاما مرفوعة ذات ألوان زاهية - ومجموعة كبيرة من الناس يتحركون وسط الموسيقى ودقات الطبول . وسألت الكمساري عن سر هذه (الزفة) العجيبة . . وتصورت أن هؤلاء الناس ليسوا سوى جماعة من الجماعات الصوفية التي تقدم مثل هذه العروض ذات الطابع الديني . لكن الكمساري قال لي : (لا يابيه . . دا أستوديو مصر . . بيعملوا حاجة . . مشاهد يعنى من فيلم وداد) .

وانطلقت السيارة متجهة نحو الفيوم . . لكن عقل ظل مشدودا إلى إستوديو مصر . . وبمجرد أن عدت إلى القاهرة حتى بدأت أسأل كل من له علاقة بالفن عن إستوديو مصر . . الذي أنشئ بفضل جهود طلعت حرب باشا . وعدت أسأل عن العاملين باستوديو مصر . . وأثار إنتباهي أسم الأستاذ محمد رجائي ، فهو زميلي وتخرج معي في مدرسة التجارة العليا . وقررت أن أذهب لمقابلته . . واستقبلني كما توقعت بحفاوة الزملاء الأعزاء . .

وسألني :

— أين تعمل الآن ؟

قلت :

— انني أعمل حاليا (باشكاتب) في مستشفى أبو الريش . . لكن الفن يشغلني جدا يا محمد . . انني أمثل في فرقة انصار التمثيل كمحاولة لاشباع هوايتي الفنية القديمة التي تعرفها . لكني لم احترف التمثيل حتى الآن . وعدت أسأله :

— مفيش عندكم وظيفة خالية يا محمد ؟

قال :

— عندنا وظيفة رئيس حسابات .

قلت :

— موافق .

واندفعت في طريقى نحو مستشفى أبو الريش . . وطرقت باب مدير المستشفى
الدكتور ابراهيم باشا شوقى (أبو طب الأطفال في مصر) والذى يعتبر هو
والدكتور خليل عبد الخالق أشهر طبيبين في مجال طب الأطفال .
وقلت لمدير المستشفى الذى كان يشغل في نفسى الوقت منصب وكيل وزارة
الصحة :

— انا عايز استقيل يا أفندم .

تطلع إلى مندهشا :

— ليه ؟ هل حد ضايك ؟

قلت :

— لا يا أفندم .

قال :

— اذن ما سبب الاستقالة ؟

قلت :

— ساعمل في السينما .

قال :

— سينما اية يا إبني . . صدقنى ستندم كثيرا بعد هذه الخطوة غير
المحسوبة .

لكنه عندما لاحظ اصرارى الشديد على الاستقالة ورغبتى القوية في الارتباط
بالعمل السينمائى قال لى :

— ربنا يوفقك يا إبني .

وكان لا بد أن تأتى تلك اللحظة المؤثرة التى اودع فيها الاطباء والمرضى . .
والمرضات . . وعنابر المرضى . . وغرفة العمليات . . وكل شبر في مستشفى
أبو الريش . . اودع هذا العالم الذى احببته . . اودع ثلاث سنوات قضيتها
داخل هذا المستشفى الذى رأيت فيه الكثير . . وتعلمت منه اكثر .

وعملت رئيسا للحسابات في إستوديو مصر الذى كان يلتقى فيه كل فنانى مصر
المعروفين . لم يكن هناك في ذلك الوقت قطاع خاص سينمائى بالمعنى الكامل . فعدد
قليل من الفنانين كانوا يمارسون الانتاج السينمائى مثل بهيجة حافظ - وبدر لاما - أما
الباقون فكانوا موظفين . كل مهندسى الصوت والديكور وايضا المخرجون ابتداء من
أحمد بدرخان كانوا موظفين في إستوديو مصر .

والطريف أن علاقتى بهم لم تبدأ كعلاقة فنية . . بل تعرفت عليهم من خلال الارقام

والحسابات وكشوف المرتبات الشهرية إلتى كان يجب ان اوقع عليها بحكم عملى كرئيس للحسابات . وكانت المرتبات تصرف فقط للفنيين وليس للممثلين .

لكن علاقائى توثقت أكثر مع الفنانين عندما صدر قرار بنقلى من وظيفة رئيس الحسابات إلى وظيفة اخرى جديدة (مدير إنتاج) - بمساعدة وجهود الأستاذ سعد نديم ، وشغل مكانى فى وظيفة رئيس الحسابات الأستاذ موسى حقى .

ودخلت التمثيل . . من باب الدعاية

وسعدت جدا بهذه الخطوة التى جعلتنى اتعامل مباشرة مع الفنانين والفنانات . . وقربتنى أكثر من فن التمثيل . . وأيقظت فى داخلى الفنان الصغير الذى كاد يضيع وسط الارقام والحسابات وكشوف المرتبات . وعاصرت إنتاج افلام كبيرة وهامة للفنان الكبير نجيب الريحانى . . وشاهدت من خلف الكاميرا كل ما يحدث أمامها . . وكل تفاصيل العمل السينمائى داخل البلاتوهات . وكان ذلك كافيا لارضائى . وإن كنت اسمع باستمرار صوتا قادمًا من أعماقى ، صوت الممثل الذى بداخلى وهو ينادينى - أريد أن أمثل . . أريد أن أقف أمام الكاميرا . لكن كيف ؟ أن عملى كمدير إنتاج جعلنى أكثر حساسية فى التعامل مع الآخرين وخاصة مع المخرجين . هل أقول لهم أريد أن أمثل . . لا . . لا . . يجب أن أكبح جماح هذه الرغبة القوية فى الوقوف أمام الكاميرا حتى لاتفسر على انها استغلال لطبيعة عملى . . وهكذا كنت أحاول تأجيل القرار .

وفى هذه الفترة تعرفت على عدد كبير من الفنانين والفنيين - نيازى مصطفى الذى كان يعمل مونتيرا . . وصلاح أبو سيف وكمال الشيخ اللذين كانا يعملان أيضا كمونتيرين . أما حسن الامام فكان يعمل (عامل كلاكيت) . . وأذكر إنه كان يتقاضى اجرا يوميا قدره (١٧ قرشا) . . ليس عيبا أن يبدأ الإنسان صغيرا . . فإلهم انه كبر بعد ذلك وأصبح من أشهر المخرجين وأنجحهم . . وهذه هى الارادة الحقيقية التى تستحق الاعجاب .

وأذكر أن وزارة الصحة طلبت فى ذلك الحين تنفيذ بعض الافلام التسجيلية التعليمية ذات الطابع الارشادى عن اخطار البلهارسيا والانكلستوما بهدف عرضها على الفلاحين فى القرى والارياف من خلال قوافل وزارة الصحة التى تذهب إلى الفلاحين لكى تنشر بينهم الوعى الصحى . ولم تكن وزارة الصحة هى الجهة الوحيدة التى تنفذ لها هذا النوع من الافلام الدعائية - بل كانت هناك أيضا اعلانات (الاسبرين) واعلانات (الشيخ الشريب) .

المهم أنه تم الاتفاق بيننا وبين وزارة الصحة على تنفيذ هذه الأفلام ذات الطابع الارشادى التى تحذر المواطنين من عواقب الاصابة بالبلهارسيا والانتكستوما وتشرح لهم طرق الوقاية - وتم الاتفاق على ان يتولى مدير القسم الطبى الأستاذ رمضان خليفة مهمة كتابة سيناريوهات هذه الأفلام وعلى ان أقوم أنا بمهمة مدير الانتاج لهذه الاعلانات السينمائية .

وكان الأستاذ جمال مذكور من بين المخرجين الذين يقدمون هذا النوع من الأفلام التعليمية . وبالطبع كان من أهداف كمدير لانتاج هذه الأفلام ان ننفذها بأقل قدر من التكاليف المادية . .

ومن أجل التوفير فى ميزانية الانتاج فكرت ان اشارك بالتمثيل فى هذه الأفلام بالجان . . وبدون أى مقابل . . وبهدف واحد فقط هو التوفير فى ميزانية الانتاج . وهكذا كان أول ظهور لى على الشاشة فى هذه الأفلام التى تتحدث عن أخطار البلهارسيا والانتكستوما . . وبدون أى أجر . . وكنت راضيا عن هذا النشاط الفنى . . لأنى أولا أساهم فى تقليل نفقات الانتاج . . ولأنى ثانيا اشبع هوايتى التمثيلية فى هذه الأفلام التى يراها جمهور الأرياف . .

كان أبرز وأنجح الممثلين الشبان فى ذلك الوقت حسين صدقى الذى حقق نجاحا كبيرا فى فيلم (العزيمة) . . وايضا كان من الفنانين المعروفين بدر لاما ومحسن سرحان . . فاين اذهب أنا وسط هؤلاء الفطاحل ؟

واكتفيت بنشاطى فى افلام وزارة الصحة التعليمية ، وبعملى الأساسى كمدير للانتاج . وكدت أقنع تماما بان احداً من المخرجين لن يفكر اطلاقا فى ترشيحى لتمثيل دور كبير فى فيلم روائى لسبيين - أولا - لأن ترشيح مدير الانتاج سيسبب لهم كثيرا من الحرج والحساسيات .

وثانيا - لأنى كنت ما ازال مغمورا إلى جانب الممثلين المعروفين حسين صدقى وبدر لاما ومحسن سرحان . . وانور وجدى الذى كان قد بدأ فى الظهور والانتشار . وهناك سبب ثالث أيضا هو أنى لم أكن أجرؤ اطلاقا على مفاتحة أحد المخرجين فى امر ترشيحى لأحد الأدوار السينمائية - حتى لو بقيت هكذا سنوات طويلة بدون تمثيل . . رغم أن ذلك كان يؤلمنى جدا من الناحية النفسية . . لكن لا بد من الصبر . . فهو دائما مفتاح الفرج .

أول فرصة بطولة

. وصدر قرار بنقلى إلى وظيفة أخرى جديدة (مدير التوزيع) وهكذا أصبح رئيس الحسابات مديرا للانتاج . . ثم مديرا للتوزيع .
السنوات تمر . . وأنا أعيش خلف الكاميرا مشغولا بالحسابات والانتاج والتوزيع - ومحروما من التمثيل أمام الكاميرا . واستغرقنى عملى الجديد كمدير للتوزيع .
كان إستوديو مصر فى ذلك الوقت هو أكبر موزع . . لكن (نحاس فيلم) و (بهنا فيلم) كانا من المنافسين لنا . . لكننا ظللنا فى المقدمة رغم هذه المنافسة . .
فعندنا الاستديو الخاص بالانتاج السينمائى - ودار السينما المخصصة لعرض أفلامنا (سينما إستوديو مصر) التى أصبحت انا مديرها - بالإضافة إلى اشرافى على سينما الازبكية الصيفى .

ومضت اربع سنوات أخرى إلى ان كان ذلك اليوم الذى لا انساه - ذهبت كالعادة ومثل كل صباح إلى مكتب ادارة التوزيع الذى كان قائما فى شارع توفيق بجوار مقهى أم كلثوم .

وبعد انتهاء العمل فضلت أن أمر على صديقى قاسم وجدى أول من ابتدع مهنة (الريجيسير) فى مصر . . فى نفس المبنى كان يوجد إستوديو محمد الطوخى للتسجيلات . . كان من عادتى أن أذهب بين حين وآخر لزيارة الصديق قاسم وجدى لبضع دقائق أتناول خلالها فنجانا من القهوة ونتحدث عادة عن الفن والفنانين .
وفى هذه المرة وجدت عنده عددا من الضيوف . . ولذلك فقد فضلت الانصراف بسرعة . . واذكر انه عرفنى على أحد الجالسين قائلا :

— الأستاذ كامل التلمسانى .

قلت :

— اهلا وسهلا .

وصافحته وانصرفت . . لم أكن أعرفه . . ولم يكن يعرفنى . . فعملى الجديد فى ادارة التوزيع ابعدنى عن مبنى إستوديو مصر الذى لم اعد أذهب اليه سوى مرة أو مرتين فى الشهر .

وكدت أن أنسى ذلك اللقاء . لكن التليفون دق فى صباح اليوم التالى داخل مكتبى

وسمعت صوتا يقول :

— انا كامل التلمسانى .

قلت - أى خدمة ؟

قال - انا مخرج . . واستعد حاليا لافراج فيلم (السوق السوداء) . .
وقد رشحتك لدور البطولة . . هل عندك مانع ؟ تساءلت بدهشة - عندي
مانع ؟ طبعا لا . . ما عنديش اى مانع .

قال - طيب . . تعال . . انا فى انتظارك .

وقبل ان اذهب اليه اتجهت نحو مكتب الصديق قاسم وجدى لكى احكى له
ما حدث . . لكننى وجدت عنده كل التفاصيل التى كان يجب ان اعرفها . . كان
كامل التلمسانى فى الاصل فنانا تشكيليا قبل ان يتجه إلى السينما . . عمل فترة
كمساعد مخرج . . لكن (المسيو فينو) اقتنع به جدا وقرر ان يساعده فى تجربة
الافراج الاولى .

وبدا كامل التلمسانى يبحث عن أبطال فيلمه الاول (السوق السوداء) ورفض
ترشيح معظم النجوم المعروفين .

فهو يريد وجها مصريا مائة فى المائة . لا يريد بطلا وسيما ازرق العينين . . بل
يريد الملامح المصرية الصميمة . . وحدث بالصدفة ان ذهبت لزيارة قاسم وجدى
اثناء وجوده ، وبعد ان خرجت تساءل كامل التلمسانى :

— مين الأفندى ده ؟

وقال قاسم وجدى :

— انه زميلك ؟

زميل .

— زميلك فى إستوديو مصر . . ويعمل فى التوزيع .

— اننى لم اره من قبل .

ويبدو ان كامل التلمسانى قد اقتنع بأنى الوجه المصرى الذى يبحث عنه . .
اننى لست جميلا او وسيما . . لكننى مصرى الملامح مثل الغالبية العظمى من
الناس .

وذهبت إلى المخرج . . وتحدثنا طويلا عن الفيلم . . وعن الدور . . وعن أول
اجر ساتقاضاه عن التمثيل . . كنت اتقاضى فى ذلك الوقت من عام ١٩٤٤ مرتبا
شهريا قدره ستون جنيها . . وهو مبلغ كبير حسب ظروف ومقاييس تلك الفترة .
وقال لى كامل التلمسانى :

— لن نستطيع ان نكتب معك عقدا . . فانت موظف فى استوديو مصر . .
ولكن سنعطيك مكافأة عن تمثيلك لدور البطولة . . وتحددت لى مكافأة قدرها مائتا
جنيه . . انه أول اجر سينمائى اتقاضاه . . وايضا أول فرصة بطولة . . وعرفت

ان البطلة التي ساشاركها بطولة فيلم « السوق السوداء » هي الممثلة رائعة
الجمال عفيفة راتب . . كانت جميلة كالبدن . .
وقال المخرج كامل التلمساني بحسب :
— غدا يا عماد . . نبدا التصوير .

زكى رستم . . أنقذنى من الجمهور الغاضب

اقترب اليوم الموعد الذى انتظرته طويلا . . يوم عرض أول أفلامى الروائية . . وأول أدوارى السينمائية . . فرغم حبى الشديد للسينما ، ظلت ألف وأدور حولها حائرا هائما دون أن أقدر على غزو قلبها . . كنت كالذى يحب معذبا من طرف واحد . . يطيل النظر إلى محبوبته . . ولا يطيق الابتعاد عنها . . لكنه لا يجرؤ على الاقتراب منها . . ولا يقدر على الاعتراف بالحب الصامت الذى يخفيه فى قلبه .

سنوات طويلة قضيتها خلف الكاميرا . . بعيدا عن الأضواء ، انشغلت بأعمال الحسابات والانتاج والتوزيع ، حتى كدت أقنع بأن سنوات العمر ستمضى دون أن أقف أمام الكاميرا ، ودون أن أظهر على الشاشة . . لكن ها هو اليوم الموعد قد جاء . . اليوم الحلم . . اليوم المستحيل - اقترى . . فقد تقرر أن يكون عرض فيلم « السوق السوداء » فى دار سينما استوديو مصر .

كنت متشوقا لمعرفة رأى الجمهور . . لكن فرحتى كانت ممزوجة بالتوجس . . والرغبة . . فرحة خائفة . . أمل مهزوز . . سعادة مرتعشة . . فالذى ينتظر موعدا أو قرارا هاما لا يعرف النوم أو الراحة . . يلزمه التوتر . . ويساوره القلق . . وتغذبه الهواجس . . كنت مثل الطالب الذى أدى الامتحان . . ووقف ينتظر النتيجة . . النجاح أو الفشل . . يتوقع كل الاحتمالات - وينتظر كل المفاجآت . . كنت أخشى ألا يروق الدور للجمهور . . تخوفت من حكم النقاد . . فما أقسى حكم الناس على الناس . . البعض يكون بطبعه قاسيا . . ولا يترفق ولا يلمس الأعذار . . ولا يقبل أى تبريرات أو تفسيرات . . وما أكثر الذين يحبون أن يكونوا قضاة غير منصفين . . وغير عادلين . .

ولقد خان وقت النطق بالحكم الفاصل فى قضية الممثل الجديد غير المعروف الذى اقتحم الشاشة بغير استئذان . . وبدون توقع . . فماذا سيقول الشهود ؟ ماذا سيقول

الجمهور ؟ . . وهل سيتفق رأى جمهور الشهود مع رأى النقاد القضاة ؟ هل سيقولون أن ذلك الممثل الجديد قد حاز القبول . . وأنه يستحق (جواز المرور) إلى عالم السينما العجيب والدهش ؟

وبقيت أتعجل مرور الساعات . . ومر النهار بطيئا متأنيا . . وعينائى متعلقتان بعقربى الساعة اللذين يتحركان ببطء وكأنهما يعرفان حالتي ويتعمدان إغاضتي وإثارة أعصابى . . وبعد طول انتظار . . جاءت اللحظة التى أنتظرها . . لحظة إعلان النتيجة . . انتهى عرض الفيلم . . ورأيت مئات المتفرجين وقد تجمعوا أمام دار سينما استوديو مصر . . كانوا يهتفون . . قلت الحمد لله . . إن تلك الهتافات تعبير عن سرورهم . . لابد أن الفيلم أعجبهم . . لقد مر الامتحان الصعب بسلام . . ورحت أتأمل الجمهور من بعيد . . لكنى شعرت بالخوف يسرى فى جسدى عندما بدأت أتبين أن هتافات الجمهور ليست أبدا ودية . . وليست أبدا تعبيراً عن السعادة . . بل كانت هتافات عدائية جدا . . وغاضبة جدا . . وأيقنت أن الجمهور ليس راضيا عن الفيلم . . وليس مقتنعا بما رآه على الشاشة . .

يا لسوء الحظ . . أول فيلم أودى فيه دور البطولة يستقبله الجمهور ذلك الاستقبال غير السار . . وغير الودى . . ! ومرت عشر دقائق . . وربع ساعة . . ثم نصف ساعة - والناس أمام دار السينما لا يتحركون أبدا . .

يا له من جمهور عنيد . . لماذا كل ذلك الاصرار على الانتظار أمام مدخل السينما ؟ . . العبارات التى كانوا يرددونها وضحت كل شيء . . هتافاتهم الغاضبة . . الساخطة . . جعلتنى أشعر بأن أحداثا أقطع قد تقع أمام دار السينما . . أحداث لن تصورها الكاميرا . . ولن يرتبها المخرج . . بل ستكون من صنع الجمهور نفسه . . نهاية غير سعيدة لم نتوقعها أبدا . . وتذكرت ما قرأته ذات مرة عن المتفرجين الأجانب الذين قذفوا أبطال أحد الأفلام الجديدة بالبيض والطماطم تعبيراً عن استيائهم الشديد . . وعن عدم اقتناعهم بالفيلم . . فهل يتكرر ذلك الموقف أمام دار سينما استوديو مصر ؟ وشعرت ببعض الارتياح عندما لاحظت أن أيدي المتفرجين خالية من البيض والطماطم . . لكن هتافاتهم الغاضبة أقوى من البيض والطماطم . . وأقوى حتى من الأحجار . . نتلقى اللعنات بدلا من باقات الورد . . ونسمع الشتائم بدلا من كلمات الثناء والاعجاب - لكن أصبح واضحا أن التى ستحملنا . . سيارات الاسعاف !

ستتحول ليلة إنتاج الفيلم إلى ليلة افتتاح « غرزين » فى رأسى . . وفكرت فى الخروج من دار السينما عن طريق السلم الخلفى . . يجب أن أهرب

حتى لا يرانى ذلك الجمهور الغاضب الذى ما زال يهتف (سيما اونطة . . هاتوا فلوسنا) .

لكنى تراجعبت فى آخر لحظة . . فمن يدرينى . . فقد اكون انا المقصود بهذه الهتافات غير الودية . . لا اريد أن ابيت هذه الليلة فى المستشفى . . شئء مؤسف أن يقضى بطل الفيلم ليلة إنتاج فيلمه الأول داخل المستشفى . ونظرت إلى الأستاذ زكى رستم أحد أبطال الفيلم - وكأنى استنجد به . . ولاحظت أنه يعترزم الخروج رغم زحام الجمهور وتعبيراته الغاضبة . . فقررت أن اسير معه حتى أحتوى به . . فهو فنان معروف ومحبوب . . وساكون تحت حمايته إذا ما فكر أحد المتفرجين فى مضايقتى أو ملاحقتى . . واقتربنا من باب الخروج - ودقات قلبى تتلاحق . . وعندما رأى الواقفون وجه زكى رستم افسحوا الطريق حبا واحتراما له . لكن واحدا من المتفرجين تقدم نحوى ، وقلت فى نفسى (لطفك يارب) . . ويبدو أن ذلك المتفرج الطيب قد لاحظ ترددى فى الخروج من باب دار السينما فقال لى مطمئنا - (أنت مالکش دعوة يا أستاذ . . أنت عملت دورك كويس . . احنا عايزين المخرج) .

وأشفقت على كامل التلمسانى صاحب الفضل الأول فى تقديمى على الشاشة ، فهو ليس فقط مخرج الفيلم . . بل هو أيضا مؤلف القصة وكاتب السيناريو . . ولم يكن الجمهور وحده ساخطا عليه . . فالصحافة المصرية لم ترحب بالفيلم ، لكن الصحافة الأجنبية كانت فى صفه ودافعت عنه بقوة . وأنكر أن صحيفتى (الجورنال دى إيجبت) و (الأجيبيسيان جازيت) قد قالتا عن المخرج كامل التلمسانى أنه سابق لعصره . . وأن الجمهور لم يكن على مستوى الفيلم الذى نفذ بأسلوب سينمائى متطور ، فكاتب السيناريو الذى هو فى الأصل فنان تشكيلى لم يهتم كثيرا بالتفاصيل التى يحب أن يفهمها الجمهور وحده . . لكن الجمهور كان له رأى آخر غير رأى الصحف الأجنبية .

والغريب أنه رغم فشل فيلم (السوق السوداء) إلا أنى كنت أكثر المستفيدين منه . . ورب ضارة نافعة كما يقال . . لقد أصبحت معروفا بل ومشهورا بعد فشل فيلمى الأول . . وكان الانطباع العام هو أننى أديت واجبى . . لكن الذنب لم يكن ذنبى . . وأصبحت معروفا لدى كل المخرجين الذين بدأوا يرشحوننى لأول أفلامهم وتجاربهم السينمائية . . وبدأ أكثر من (مونتير) يتحولون إلى الاخراج السينمائى . . وقرر المونتير صلاح أبوسيف أن يخرج أول أفلامه على الشاشة .

بحر من الدموع !

ورشحني المخرج صلاح أبو سيف لدور البطولة في فيلم « دايما في قلبي » وشاركتني في بطولته نفس بطله فيلمي الأول « السوق السوداء » عقيلة راتب . . لكن النتيجة كانت عكسية تماما ، ففشل أول أفلامي السينمائية قابله نجاح كبير لتجربتي السينمائية الثانية التي أخرجها صلاح أبو سيف . . ولم يكن النجاح جماهيريا فقط . . فالنقاد أيضا رحبوا بالفيلم واحتفوا به . . ودعم فيلم « دايما في قلبي » اسمي . . واكده كممثل جديد ينضم إلى مجموعة الممثلين المعروفين . أما فيلم « سجي الليل » فكان خطوة كبرى في حياتي السينمائية - بل لن أكون مبالغا إذا ما قلت أن هذا الفيلم قد أحدث انقلابا في مسار السينما المصرية نفسها . . فقد كانت الأفلام في ذلك الوقت إما غنائية أو كوميدية - باستثناء فيلم « العزيمة » الذي كان فيلما اجتماعيا ، ولذلك فإن أي فيلم تراجيدى أو ميلودرامى يموت البطل في نهايته - وخال تماما من النكتة - كان يعتبر في ذلك الحين شيئا غير عادى وغير مألوف ، وكان إنتاجه نوعا من المغامرة . لكن المخرج بركات قرر أن يخرج فيلم « سجي الليل » واختارنى لبطولته مع ليلى فوزى وكمال الشناوى وأستاذنا الكبير محمود المليجى . . وتقرر أن يتم تصوير الفيلم في استوديو (توجو مزراحى) الذى قدم أيضا فيلم السيدة أم كلثوم (سلامة) وأفلام ليلى مراد بعد ذلك .

وكان دورى في الفيلم دور طبيب يعمل في أحد المستشفيات - لكنه يلتقط عدوى مرض السل من أحد المرضى . . في الوقت الذى كان فيه الطبيب الشاب يعيش قصة حب قوية وصداقة مع إحدى الفتيات . . ومع اشتداد المرض وظهور أعراضه وآلامه بدأ الطبيب الشاب في الانزواء بعيدا عن حبيبته . . فهو لا يريد أن يعترف لها بحقيقة مرضه الذى كان في ذلك الوقت مرضا قاتلا لا علاج له ولا شفاء منه .

وادعى الطبيب الشاب أنه يحب إنسانة أخرى غيرها متصورا أن ذلك هو الهروب الطبيعى من مأزق المرض الخطير الذى أوقعته الظروف فيه . . وكانت بالطبع صدمة نفسية للفتاة الحسنة التى تصورت أن حبيبها قد نسيها وتخلّى عنها من أجل فتاة أخرى . . وزاد من تضخم مأساتها أن أحد أصدقاء حبيبها قد تقدم طالبا الزواج منها . . وساعت صجة الطبيب الشاب وانهارت مقاومته أمام ذلك المرض القاتل ، ونقلوه إلى المستشفى وهو في النزع الأخير . . لكن حبيبته تعرف الحقيقة وتذهب إلى المستشفى لكى تزوره بعد أن ظلمته وأبسات به الظنون . . لكن اللقاء حدث بعد فوات الأوان . . فقد كان الطبيب الشاب يودع الحياة ويلفظ أنفاسه الأخيرة . . وكان وداعا قاسيا مؤلما . . فقد مات حبيبها بين يديها .

قصة ميلودرامية طبعاً . . وكان ذلك سر مخاوى . . فالجمهور تعود على مشاهدة الأفلام الدرامية العادية والأفلام الكوميدية والغنائية . . لكنه لم يتعود على هذه القصص الميلودرامية الفاجعة . فهل يتقبل فيلماً يموت بطله في نهايته وتدور أحداثه عن الفراق والمرض والموت في ريعان الشباب ؟

وانتهى المخرج بركات من إخراج فيلم « سجي الليل » . . وتقدر أن يعرض الفيلم بدار سينما ريقولى التى كانت أحدث وأجمل دور السينما فى ذلك الوقت - ولم تكن مخصصة أصلاً لتقديم الأفلام المصرية - لكن كانت الفكرة أن يعرض فيلم « سجي الليل » لمدة يومين أو ثلاثة ثم يرفع بعد ذلك ليعرض بدلاً منه فيلم أجنبى . لكن الذى حدث كان مفاجأة لنا جميعاً . . فقد حقق الفيلم نجاحاً هائلاً . . واستمر عرضه أربعة أسابيع متواصلة . . وكان ذلك رقماً قياسياً بالنسبة لفترة عرض الأفلام الجديدة . . فالفيلم الناجح جداً هو الذى يستمر عرضه لمدة أسبوعين متواصلين . . لكن فيلمنا حطم هذه القاعدة واستمر على الشاشة لمدة أربعة أسابيع . . وكان من الصعب جداً الحصول على مقعد واحد خال . . وأصبح مشهد عربية الاسعاف الواقفة أمام باب السينما - أصبح مشهداً يومياً مألوفاً . . وغالباً ما كان رجال الاسعاف يخرجون من كل حفلة من الحفلات اليومية الأربع وهم يحملون إحدى السيدات وهى فى حالة إغماء وفقدان للوعى . أكثر من حالة إغماء فى اليوم . . وأكثر من سيدة تحمل كل يوم من داخل سينما ريقولى إلى عربية الاسعاف . . فبعض المتفرجات كن يفقدن السيطرة على دموعهن ومشاعرنهن أمام هذه القصة الميلودرامية المؤثرة . . وحين يشاهدن عذاب المرض على وجه البطل الطبيب الشاب . . وبؤس الفراق بين العاشقين وموت الشاب فى النهاية بين يدي حبيبته .

والحقيقة أننى كنت اتعذب أثناء أدائى لهذا الدور - لكن أحداً لم يكن يعرف سر عذابى وشقائى . . فهذا المرض الخطير الذى عانيت منه تمثيلاً على الشاشة خطف منى إنسانة عزيزة وحبيبة إلى قلبى . . اختى (بلستان) التى اختطفها الموت الغادر وهى فى سن العشرين . . كانت سمينة بعض الشيء وأرادت أن تنقص وزنها قليلاً . . وأثناء هذه الفترة التى اخضعت فيها نفسها للرجيم القاسى الذى لم يتم على أساس طبى سليم - أصيبت اختى (بلستان) بمرض السل اللعين الذى لم يكن له علاج حاسم فى ذلك الحين . . ونقلناها إلى المستشفى . . لكن حالتها الصحية كانت تتدهور بسرعة . . وكنت دائم الزيارة لها . . ورايت اختى الحبيبة وهى تتعذب وتموت موتاً بطيئاً - حتى وافاها الأجل .

هذه التجربة المبررة استرجعتها واستعدتها أثناء تمثيلي لدور الطبيب الذى يصاب بنفس المرض الذى اغتال اختى وهى فى سن العشرين . . . ويبدو أن ملازمتى لأختى أثناء محنتها جعلتنى اعرف كل ظواهر هذا المرض . . . وكل التطورات التى يمر بها المريض . . . كيف يتكلم ؟ كيف يسعل ؟ وملامح وجهه وشكله ونظراته أثناء المرحلة الأخيرة من المرض . . . ويبدو أن ذلك كله قد أفادنى - دون أن أشعر - عند أدائى للدور بالإضافة طبعا إلى إحساسى العميق والصادق بهذه التجربة المبررة التى كانت أختى (بلستان) ضحيّتها .

هذا كله ساعدنى على أداء دورى بصورة جيدة فى هذا الفيلم « سجنى الليل » الذى كان نجاحه الكبير اتجاها قويا نحو القصص والأفلام الميلودرامية التى أصبحنا نسميها أفلام « الفواجع » .

ولابد أن أعترف بأن هذا الفيلم بالذات جعلنى أقف على أرض صلبة جدا . . . بل ودفعنى دفعة قوية جدا نحو النجاح .

ولو أن المسئولين عن دار سينما ريفولى - ذلك الحين - تركوا الفيلم . . . لاستمر عرضه لأسابيع أخرى . . . لكن كما قلت لم تكن سينما ريفولى مخصصة للأفلام المصرية . . . ولم يكن مسموحا حتى للجمهور المصرى بدخولها . . . لكنهم قبلوا مضطرين « رغم انوفهم » ذلك الجمهور المصرى . . . قبلوه على مضض داخل سينما الأجانب لمدة أربعة أسابيع . . . لقد أخطأوا فى حساباتهم . . . ظنوا أن الفيلم سيستمر عرضه لمدة أربعة أيام فقط . . . لكن الأيام تحولت إلى أسابيع . . . (كامل العدد) . . . لمدة أربعة أسابيع . . . شئ لم يكن مألوفاً فى ذلك الحين . . . ولم يكن مألوفاً أيضا أن يرى الناس فيلما ليست فيه نكتة واحدة . . . أو رقصة واحدة . . . أو ضحكة واحدة . . . لكنه رغم ذلك كله فيلم نظيف . . . هز مشاعر الناس . . . وحرك دموعهم . . . ومس قلوبهم . . . لأنه ببساطة فيه نسبة عالية من الصدق . . . وفيه أيضا مخرج مرهف الحس . . . وقصة مؤثرة . . . وممثلون جيدون محمود المليجى ومديحة يسرى وكمال الشناوى . . . لقد تأثر الجمهور جدا بأحداث ذلك الفيلم المحزنة . . . والحمد لله أن المخرج بركات قد حذف أجزاء من الموقف الأخير الذى يموت فيه بطل الفيلم . . . ولو أن بركات لم يفعل ذلك . . . لكانت سينما ريفولى قد غرقت فى بحر من الدموع .

الورقة الرابعة

وبدا المونتير كمال الشيخ يتجه هو الآخر إلى الاخراج السينمائى . . . وهو تحول طبيعى . . . فمعظم من عملوا بالمونتاج تحولوا بعد ذلك إلى مخرجين . . . سواء من

المصريين أو من العالميين . . المخرج الجيد بدايته الصحيحة (الغرفة المظلمة) . .
غرفة المونتاج . . في تلك الغرف المظلمة ولد أحسن المخرجين . . صلاح أبو سيف كان
مونتيرا . . وهذا أيضا ما فعله كمال الشيخ الذى يتميز بعقليته المنتظمة والمرتبة
جدا . . الفيلم دائما في ذهنه من الألف إلى الياء . . بكل دقائقه وتفصيله . . وتلك هى
العقلية السينمائية الحقيقية . . أن يكون لدى المخرج تصور كامل للفيلم . . رؤية
سينمائية واضحة لما سيقدمه على الشاشة . .

وذلك هو الفرق بين مخرج وآخر . . أن المخرج السينمائى ليس فقط هو الذى يقف
داخل البلاتوهات والاستديوهات ليصيح بأعلى صوته (بارتيه) . . بل المخرج
الصحيح هو الذى يمتلك عقلية سينمائية تحوى كل التفاصيل وتستوعبها جيدا . . وهو
صاحب (الرؤية السينمائية) الواضحة التى تلمسها في كل فيلم من أفلامه . . ولقد
لمسنا من البداية اهتمام كمال الشيخ بأفلام التشويق والحركة . . بكل ما فيها من
غموض وإثارة . . ذلك النوع من الأفلام لم يكن موجودا بصورة واضحة وقوية على
الشاشة المصرية . . وهكذا شاركت فانت حماسة في بطولة أول فيلم يخرج كمال الشيخ
(المنزل رقم ١٣) . . وقد حقق نجاحا كبيرا . . لأنه كما قلت لم يكن مألوفاً لدى
الجمهور . . والمفترض عادة يحب أفلام التشويق والاثارة . . لأن الغموض الفنى
المقصود الذى ينفذ بشكل جيد يجعل الجمهور مشدودا أكثر إلى الشاشة . . الجمهور
الذكى لا يحب الفيلم الذى تظهر نهايته من بدايته أو أحيانا من اسمه . . بل يحب
الفيلم الذى يحترم عقليته . . ويتيح له الفرصة لكى يتخيل ويبحث عن النهاية
المجهولة . . ولكى يتساءل - كيف ستكون نهاية الفيلم ؟ ماذا سيكون مصير البطل
والبطلة ؟ وذلك هو أحد أسباب نجاح فيلم (المنزل رقم ١٣) . . لقد اجتمع فيه
الغموض والتشويق . . والقصة الجيدة . . والتنفيذ الدقيق . . وهذه كلها أسباب
كافية للنجاح .

وتكرر بعد ذلك ما حدث في دار سينما ريقولى عندما عرضنا فيها فيلم « سجي
الليل » الذى كان أول فيلم مصرى يستمر عرضه لأربعة أسابيع متواصلة في الدار
السينمائية التى كانت مخصصة فقط للأفلام الأجنبية . . وللجمهور الأجنبى . . تكرر
نفس الموقف . . ولكن في دار سينمائية أخرى (مقرو) . . والعجيب أن عرضه استمر
لمدة أربعة أسابيع - تماما كما حدث مع فيلم « سجي الليل » في دار سينما
(ريقولى) .

وأصبحت تقريبا مرتبطا بالأعمال السينمائية الأولى لأكثر من مخرج جديد . . هكذا
شاعت الصدفه أن أكون مشاركا في التجارب السينمائية الأولى للعديد من المخرجين

الذين أصبحوا فيما بعد من كبار مخرجى السينما العربية .
وتكرر ذلك الموقف أيضا مع المخرج عاطف سالم الذي كان يعمل قبل ذلك مساعدا
للمخرج حلمى رفلة ، حيث عملت مع عاطف سالم عندما أخرج فيلم (الحرمان) . .
ولعل اشتراكى فى بطولة الأفلام الأولى لكثير من المخرجين هو الذى جعل أحد أصدقائى
يسمىنى « الورقة الرابعة » . . أو هكذا تخيلوا أنى أصبحت الورقة الرابعة
والمضمونة فى نظر أغلب هؤلاء المخرجين .

البريمادونة . . وأنا

وأصبحت منهمكا ومشغولا باستمرار بأداء الأدوار الجديدة . . انتهى من هذا
الفيلم لكى أستعد لفيلم آخر جديد . . ولعل ذلك هو السبب الذى جعلنى أشعر
بالحاجة الشديدة للراحة والاستقرار . . فماذا بعد كل هذا العمل المتواصل ؟
وماذا بعد كل هذا النجاح ؟

لست من هؤلاء الذين يبهرهم النجاح فيفقدوا عقولهم واتزانهم ، ويبددوا عواطفهم
وصحتهم فى فراغ ، ويهدروا مشاعرهم الانسانية فى الحانات . . بدأت أشعر بحاجتى
إلى الاستقرار داخل بيت مع زوجة أقدرها وتقدر ظروف وطبيعة عملى وتقف إلى جانبى
لتخفف عنى وتشاركنى رحلة الحياة بكل أحداثها ومفاجأتها المؤلمة والسارة معا .
كنت عادة ما أقضى سهراتى داخل نقابة الفنانين فى شارع عماد الدين - التقى مع
زملائى من الفنانين والفنانات ونتحدث طويلا فى أمورنا الخاصة والعامة . . سهرات
ودية طيبة تلك التى كنا نقضيها دائما داخل نقابة الفنانين .
وهناك رأيته . . لم تكن بعيدة عنى . . فهى فنانة معروفة - بل كانت
(بريمادونة) فرقة الريحانى . . صوتها جميل ومعبر . . تغنى بتفوق أغانى وألحان
سيد درويش وزكريا أحمد .

كان آخر أعمالها الفنية العرض الغنائى « عزيزة ويونس » الذى قدم على مسرح
الآزيكية - وأشترك معها فى بطولته يحيى شاهين ، وحسين رياض ، وقامت هى بأداء
دور « عزيزة » ، وأدت ستة عشر لحنا غنائيا .

بدأت نشاطها الفنى بأداء المونولوجات . . ولم يكن ذلك شيئا سهلا ، بدليل أن
أشهر وأكبر الفنانين بدأوا حياتهم الفنية بأداء وتقديم مثل هذه المونولوجات . . فن
المونولوج كانت له قيمة كبيرة فى ذلك الجين . . كنت أعرف فتحية شريف قبل أن
أراها ، لكننى عرفتة أكثر من خلال جلسات ولقاءات نقابة الفنانين . . عرفتة عن قرب
كإنسانة . . أنها مثل تهفو إلى الاستقرار . . كانت قد تزوجت وأنجبت بنتا . . لكن

زواجها لم يستمر ، فأصبحت وحيدة تعيش فقط للغناء والمشاركة بصوتها الجميل في العروض الغنائية الجديدة .

وتكررت لقاءاتى مع فتحية شريف . . وفى كل مرة كنا نشعر بحاجة كل منا إلى الآخر . . . هى تبحث عن الاستقرار العائلى . . وأنا أيضا بطبعى أحب الاستقرار والحياة العائلية . . طبعاً ستندهشون . . لأن الفكرة العامة عن الفنانين أنهم لا يحبون الاستقرار . . وكالأطيار يتنقلون من شجرة إلى شجرة . . الفنان قبل كل شيء إنسان . . يحلم بالاستقرار . . ويتمنى أن يكون له بيت وأسرة . . على أى حال كان ذلك طبعى . . الميل للحياة الأسرية المستقرة . . وذلك ما جعلنى أقترب من القرار الحاسم . . قرار الزواج . .

وتزوجت فتحية شريف فى عام ١٩٤٦ . . واستمرت حياتنا العائلية هادئة موفقة . . وزاد من تفاهمنا أنها فنانة مثل . . وتقدر ظروف وطبيعة عملى . . الزوجة غير الفنانة تغضب وتثور إذا ما دق التليفون . . وكانت المتحدثة فتاة أو سيدة معجبة تسأل عن الفنان الممثل . . أو تعبر عن إعجابها بأدائه لأحدث أدواره . . أو ربما تبتقد طريقة أدائه لأحد الأدوار . . بدافع الحب والخوف عليه . . الزوجة غير الفنانة لن تفهم ذلك . . وستشتعل فى قلبها نيران الغيرة التى دمرت بيوتا كثيرة كانت هادئة ومستقرة وسعيدة . . لكن الحقيقة أن زوجتى الفنانة فتحية شريف كانت لا تغضب عندما تسأل عنى معجبة . . وكانت تحاول أن تخفف من خجلي الشديد . . وكانت تقول لى أن ذلك شيء طبيعى . . فلماذا الحرج والخجل ؟

من الطبيعى أن يكون للممثل الناجح عشرات المعجبين والمعجبات . . وتعطينى سماعة التليفون وهى تبتسم بلا غضب . . وبدون ضجر . . أو غيرة حمقاء . . ولأنها فنانة فكانت تشاركنى معظم جلساتى مع بقية الممثلين والمخرجين . . فعندما جاء المخرج عز الدين ذو الفقار لكى نتفق معا على الفيلم الجديد (أنا الماضى) . . كانت هى حاضرة معنا . . تشاركنا الحوار والرأى . . بكل الحب والمودة . . وبكل الحرص على زوجها . . وزاد من تقديرى لها أنها بدأت تضحى بفننها من أجل حياتنا العائلية . . خاصة بعد أن أنجبت ابنا (نادر) الذى أضفى على حياتنا مزيدا من الاستقرار . . ولكن هل سيطول ذلك الاستقرار العائلى . . ليس كل ما يتمناه المرء يتحقق . . والرياح لا تاتى عادة بما تشتهي السفن !

فى قطار الرحمة . . أحببت شادية

ماذا يريد الإنسان غير زوجة تقدر ظروفه . . وتخفف عنه متاعبه . . وتقف إلى جانبه مشاركة إياه رحلة الحياة الشاقة الطويلة ؟

حمدا لله فقد وجدت تلك الزوجة التى تقدر ظروف عملى . . وتحاول بكل جهدها أن تسعدنى . . وزاد من تقديرى لها تضحيتها من أجلى . . توقفت عن ممارسة نشاطها الفنى وهى فى قمة نجاحها . . لكى توفر كل وقتها وطاقاتها لرعاية ابننا (نادر) . . وجدت فى نشاطى الفنى تعويضا عن حرمانها من العمل الفنى الذى توقف بسبب الزواج . . أصبح نجاحى نجاحا لها . . والحقيقة أنى لم أجد الزواج عائقا يعطلنى أو يؤخرنى ويبعدنى عن العمل السينمائى . . بالعكس . . كانت مرحلة ما بعد الزواج مليئة بالحماس . . وبالأمل . . وبالعمل . . أننى أؤمن بالفال الحسن . . وقد كان زواجى من فتحية شريف فالأ حسنا . . فبعد الزواج انهالت على عقود العمل فى الأفلام الجديدة . . وتوثقت علاقاتى بالمخرجين . . فألى جانب بركات والتلمسانى . . وصلاح أبو سيف . . وكمال الشيخ . . وعاطف سالم . . توثقت علاقاتى أيضا بضابط المدفعية الذى أحب السينما حبا رومانسيا رائعا (عز الدين ذو الفقار) . .

كان عز بالنسبة لى اكتشافا . . رجلا ضخم الجسم . . لكنه رقيق المشاعر إلى أبعد الحدود . . أنه فنان وضابط . . شخصيتان فى جسد واحد . . الرقة إلى حد الشاعرية . . والانضباط إلى حد الغلظة . . من لا يعرفه جيدا يتصور أنه لم يستطع التخلص من جدية وجفاف ضابط المدفعية . . لكن الذين عرفوه مثلى اكتشفوا فيه رقة المتناهية . . وشفافية روحه . . وعمق تفكيره . . كان فى أعماقه طيبا جدا . . وإنسانا جدا . . وكان (أنا الماضى) هو أول الأفلام التى جمعتنى بالمخرج عز الدين ذو الفقار . . لقد أحببته . . وأصبح من القلائل الذين فتحت لهم قلبى . . وبيتى . . وتوثقت بيننا العلاقات الفنية . . والأسرية . . واحترمت فيه أيضا حرصه على أن

يكتب بنفسه سيناريوهات أفلامه . . وعندما يكون المخرج صاحب الفكرة . . وعارفا بأدق تفاصيلها . . فإن إحساسه بالفيلم يصبح أقوى . . وتحول القصة في ذهنه إلى شريط من الصور المتحركة . . وبعد أول جلسة مع عز الدين ذو الفقار تساءلت في حيرة . . كيف ضل ذلك الفنان طريقه إلى سلاح المدفعية ؟ . . أنه صاحب عقلية سينمائية . . وكان لابد أن يتخذ قراره الحاسم بأن يعيش بقية أيام وسنى عمره في أنسب مكان . . في عالمه الحقيقي . . داخل بلاتوهات السينما . .

واكتملت سعادتي عندما علمت ذات يوم بخبر ترشيحي مع فريد شوقي وساميه جمال للاشتراك بالتمثيل في فيلم (الصقر) الذى كان مفروضا أن يتم تصويره في إيطاليا . . أننى لا أنسى ذلك الفيلم أبدا . . فبسببه كدت أفقد إحدى أصابعى . . كان المفروض أن تكون هناك نسختان من الفيلم . . نسخة إيطالية . . ونسخة مصرية . . باعتباره إنتاجا مشتركا بين مصر وإيطاليا .

وكانت (سيلفانا بامبانيني) تشارك (فيتوريو جاسمان) في بطولة النسخة الإيطالية . . وتم الاتفاق على أن ينفذ تصوير المناظر الداخلية في استوديوهات روما ، أما المناظر الخارجية فتقرر تصويرها في صحراء مصر .

وكان دورى في الفيلم يتطلب أن أركب الخيل . . وأؤدي الحركات الصعبة . . وأن أقاتل بالسيف . . دور يتطلب مهارات جسدية ورياضية خاصة . . ومثل تلك الأدوار تأخذ من الممثل جهدا مضاعفا . . مهارات فنية . . ومهارات جسدية . . لكنها على أى حال تجربة جديدة لابد من خوضها حتى النهاية مهما كانت صعوبتها . . وكان يؤدى في النسخة الإيطالية ممثل اسمه (أنزو فيرمونتي) . . هو فى الأصل بطل من أبطال الملاكمة فى إيطاليا إنسان طيب للغاية . . لكنه ممثل ردىء للغاية . . المهم حدث بعد أن تعارفنا أن قلت له فى أحد الأيام .

— (ما رأيك يا أنزو لو تسجل نفسك فى النسخة العربية . . بينما أسجل أنا نفسى فى النسخة الإيطالية . . ونظر إلى (أنزو فيرمونتي) مندهشا . . ويبدو أن بطل الملاكمة لم يفهم مقصدى . . ومضيت أشرح له الفكرة التى طرأت على ذهنى . . وكان الهدف منها أن أظهر فى النسخة الإيطالية حتى ولو فى دور صغير . . دور (كومبارس) على أساس أن يظهر (أنزو) فى النسخة العربية فى دور صغير أيضا . . فما قيمة العمل فى ذلك الانتاج السينمائى المشترك ، إذا لم نتبادل الخبرة . . والرأى . . والأدوار ؟

ما قيمة أن نظهر نحن فى النسخة العربية . . وأن يظهروا هم فى النسخة الإيطالية ؟ أن المكسب الحقيقى هو أن يظهر ممثل مصرى فى النسخة الإيطالية . .

وأن يظهر ممثل إيطالى فى النسخة المصرية . . حتى ولو لمجرد لحظات . . كانت تلك الفكرة قد روادتنى وشغلتنى . . سواء أكانت خطأ أم صوابا . . لكنى هكذا فكرت . . ولم يعد باقيا إلا أن يوافق الايطالى (أنزو) . . ولم أجد صعوبة فى إقناعه . . وعندما ابتسم مرحبا . . عرفت أن الفكرة قد أعجبتة . . وكان الدور الذى سأؤديه فى النسخة الايطالية يتطلب منى أن أشارك مع قبيلتى فى مهاجمة قبيلة أخرى . . ثم أقوم باغتصاب إحدى الفتيات - تمثيلا طبعا - هذا هو كل الدور الذى سأؤديه فى النسخة الايطالية . . مشاركة القبيلة فى الهجوم . . ثم اغتصاب الفتاة . . وبهذه الطريقة سأتمكن من أداء دورين فى فيلم « الصقر » . . دور رئيسى وهام فى النسخة العربية . . ودور ثانوى « كومبارس » فى النسخة الايطالية .

وأصبح كل شيء جاهز للتصوير . . وعندما صاح المخرج « بارتيه » اندفعت كما هو محدد . . اندفعت مع أفراد قبيلتى . . وبدأنا فى مهاجمة القبيلة الأخرى . . ثم قفزت من فوق حصانى عندما لمحت الفتاة التى لابد أن أغتصبها حسب السيناريو المكتوب . . وبدأت أطارد الفتاة . . هى تجرى . . وأنا أندفع خلفها . . وأخيرا أمسكت بها . . وجذبتها نحوى . . فبدأت تقاوم . . لكنى لم أياس . . - كما يقول السيناريو - كانت فتحة صدرها مصنوعة من القفطان الحريرى . . وعندما حاولت أن أفتح جلابيها من ناحية فتحة الصدر اشتبك إصبعى فى الحد الحريرى المحيط بفتحة الجلاب . . وحاولت أن أجذب إصبعى . . ولكن بلا جدوى . . كان من الصعب انتزاعها . . وبكل قوتى انتزعت إصبعى المشتبكة بفتحة الجلاب . . ولم أشعر بالألم الشديد إلا بعد انتهاء التصوير . . وحملونى إلى الطبيب الذى سمعت منه الحقيقة التى أحرزنتنى وأزعجتنى . .

— (إن إصبعه مكسورة) . .

عليك اللعنة يا أنزو . . لماذا وافقت على أن أظهر بدلا منك فى النسخة الايطالية . . لماذا لم ترفض يا أنزو ؟ أنت بطل ملاكمة . . وكنت ستنفذ لقطات المطاردة والاغتصاب أفضل منى . . لكن ما ذنب أنزو ؟

أنه ذنبى أنا . . أنا الذى اقترحت عليه الفكرة . . وهو من شدة تهذيبه وافق . . أنها مجاملة متبادلة . . خدمة مشتركة . . لكن ثمن ظهورى فى النسخة الايطالية كان فادحا . . ومؤلما . . كسر إصبعى . . ونصحنى الطبيب بتجنب الحركات الصعبة حرصا على إصبعى المكسورة . .

وعندما قلت لهم - (أعطونى أجر الطبيب الذى عالجنى) قالوا - (إن التأمين يشمل فقط أبطال الفيلم . . ولا يشمل أبدا الكومبارس) !

قلت - لكنى بطل الفيلم .

قالوا - أنت بطل الفيلم فقط فى النسخة العربية وليس فى النسخة الإيطالية . .
وإصابة إصبعك حدثت فى النسخة الإيطالية . . وليست فى النسخة العربية .
وأدركت أن التأمين لحسابهم هم كشركة . . وليس لحسابنا نحن الفنانين . .
ولو حدث - لا قدر الله - ومات أحدها أثناء العمل . . فإن التأمين سيصرف لحساب
الشركة التى ستدفع مبلغ التأمين لبطل آخر جديد !

وطلبوا منى الاستقالة

وبقيت ثمانى سنوات أعمل ممثلا سينمائيا نظير مكافآت تدفع لى حسب ظروف الدور
والعمل فى كل فيلم جديد . . لم يكن من السهل توقيع العقود معى . . لأنى كنت
ما أزال فى وظيفة تابعة لاستديو مصر . . صحيح أن المكافأة التى كنت أتقاضاها قد
ارتفعت من مائتى جنيه إلى ٨٠٠, ٩٠٠ جنيه - لكن هذا الوضع القلق يجب أن يحسم
بشكل نهائى . لقد أصبحت نجما سينمائيا معروفا . . واستمرارى فى العمل الوظيفى
يسبب لى نوعا من الحيرة .

وذاث يوم فوجئت باستدعائى من مكتب محمد بك رشدى رئيس بنك مصر الذى
كان متزوجا من ابنة طلعت حرب باشا . . أنه إنسان مهذب ومحترم للغاية . .
وذهبت للقاءه فى مكتبه وقلت له - أنا تحت امرك . .
وبدا رئيس بنك مصر يتحدث . . لكنى لاحظت فى كلماته كثيرا من الحرج . .
إلى أن قال لى فى النهاية .

— لقد أصبحت الآن مشغولا جدا بالتمثيل . . وأعتقد أنه من الصعب أن
تجمع حاليا بين الوظيفة والتمثيل . . وعليك أن تختار . . إما أن تحتفظ
بالوظيفة - وسنعطيك فى هذه الحالة علاوة كنوع من التعويض . . وإما أن
تستقيل .

وكان فى جيبى فى تلك اللحظة عدد من العقود التى وقعتها لتمثيل أدوار وأفلام
جديدة تبلغ قيمتها خمسة آلاف جنيه . . لكنى سألت رئيس بنك مصر :
— وكم ستبلغ هذه العلاوة ؟

قال :

— عشرة جنيهات . .

(وكانت الجنيهات العشرة فى ذلك الحين مبلغا كبيرا لا يستهان به) .
وكدت أقول له - نعم سأستقيل . . لكن حبى الشديد لاستوديو مصر أوقف

الكلمات فى خلقى . . اننى أشعر أننى ولدت وكبرت فى ستوديو مصر . . عرفت فيه معنى النجاح . . والأمل . . والاصرار . . وعشت فيه أهم الذكريات والأحداث . . رئيسا للحسابات . . ثم مديرا للانتاج . . ثم مديرا للتوزيع . . اننى أشعر بأن استوديو مصر مثل بيتى تماما . . يؤسفنى فراقه . . ويضجرنى الابتعاد عنه . . كنت أتمنى أن أظل محتفظا بالوظيفة حتى لا أحرّم من هذا المكان الذى أشعر بأنه ليس فقط بيتى . . بل جزء هام وخاص من حياتى . . لكن رئيس بنك مصر ينتظر منى القرار النهائى . . ولابد فى النهاية من توضيح . . إما أن أضحي بوظيفتى وإما أن أضحي . . لا . . لا . . وقلت لرئيس بنك مصر بصوت أمتزج فيه بالتأثر الحقيقى :

— لا يا أفندم . . اعفينى من الوظيفة . . سأستقيل .

واعطونى مكافأة قدرها ٤٠٠ جنيه بمجرد الانتهاء من إجراءات الاستقالة . وكانت لحظة مؤثرة جدا تلك التى القيت فيها النظرة الأخيرة على تلك الغرفة الحبيبة التى عشت فيها أجمل الذكريات . . واندفعت خارجا حتى لا أبكى . . وداعا أيها الباشكاتب العزيز . . يا من تعيش فى شرايبنى . . فى دمي . . وداعا يا مدير الانتاج . . وداعا يا مدير التوزيع . . مهما يحقق الانسان من نجاح ، فأن الأيام الأولى فى حياته تظل مهبط الذكريات . . أيام الأحلام المستحيلة . . وانتظار الغد المجهول . . لولا وظيفة (الباشكاتب) فى استوديو مصر - ما كنت اقتربت من عالم السينما . . ولا عشت أحداثه ومشاكله وتفاصيل تفاصيله . . ولربما كنت قضيت بقية أيام حياتى وراء مكتب فى مصلحة حكومية . . ولذلك سأظل ما حييت وفيما لوظيفة (الباشكاتب) التى لولاها ما كنت اندفعت فى طريق الأضواء . . وما كنت وصلت إلى الشاشة الفضية . . لأصبح واحدا من نجومها .

أه لو كنت أستطيع أن أجمع ما بين الوظيفة والتمثيل . . ليس حبا فى المال . . ولكن وفاء للوظيفة التى ساعدتنى . . أنه الاختيار الصعب . . وعندما يكون الاختيار بين الوظيفة الروتينية والعمل الفنى . . فإن العمل الفنى هو الذى يفوز . . مهما كانت الوظيفة عزيزة على النفس .

محطة منتصف العمر

واستمرت حياتى الأسرية هادئة . . وادعة . . بعد أن عرفت معنى الاستقرار مع زوجتى فتحية وأبنى نادر الذى كنت أراه يكبر أمامى كل يوم . . أسرة صغيرة تعيش وسط جو من التفاهم والثقة المتبادلة . . واستمر نشاطى الفنى فى التصاعد يوما بعد يوم . .

وتكرر ظهورى مع فاتن حمامة ومديحة يسرى . . والعمل مع فاتن مريح . .
فهى إنسانة ملتزمة جدا . . تحترم عملها . . لكن ربما كانت مديحة يسرى مناسبة
ولأنقة أكثر من ناحية الشكل للظهور معى . . خاصة أنى لم اكن صغير السن . .
كانت فاتن تبدو أمامى أصغر كثيرا منى . . أما مديحة فكانت تعطى الإحساس
بأنها سيدة . . وأنها من ناحية الشكل مناسبة أكثر للظهور أمامى فى الأفلام .
وكان يمكن أن تستمر حياتى هادئة هكذا لسنوات عديدة قادمة - لولا ذلك
القطار الذى توقف فجأة فى محطة منتصف العمر . . فانطلقت مع صفارته
وضجيجه رياح التغيير التى هبت دون توقع على حياتى الهادئة . . أقصد التى
كانت هادئة .

حدث أن أعلنت ثورة ٢٣ يوليو . . ورأى الفنانون أن يقوموا بتلك المظاهرة الفنية
تعبيرا عن ترحيبهم بإعلان الثورة . .

وكان المفروض أن نركب هذا القطار . . قطار الرحمة . . لكى ينطلق بنا من أسوان
حتى القاهرة متوقفا فى كل محطات السكة الحديدية . . وتقرر أن نهبط من القطار فى كل
محطة لكى نقدم هذه الحفلات الغنائية مساهمة فى جمع التبرعات . . وحدد لهذه الرحلة
فترة زمنية قدرها ٢٤ يوما . . وكان دورى هو تقديم المطربين والمطربات الذين
سيقدمون أغانيهم أمام الجمهور .

وعندما توقف القطار فى محطة سوهاج اندفعت مسرعا إلى داخل المدينة أسأل كل من
يقابلنى .

— من فضلك . . أين مسكن باشمهندس السكة الحديد ؟

وتصور بعض الناس الذين سألتهم أننى أحد أقرباء الباشمهندس . . وأننى أرغب
فى زيارته ، رغم أنى لا أعرفه ولا أذكر حتى اسمه . . كنت أريد فقط أن أرى البيت
الذى يقيم فيه . . فهنا فى سوهاج رأيت مع أخى التوأم عبد الرحمن نور الحياة لأول
مرة . . أريد أن أرى ذلك البيت الذى كان يعيش فيه ابن الباشمهندس السابق لسكك
حديد الوجه القبلى .

ووصلت أخيرا إلى البيت الذى ولدت فيه . . بعد كل هذه السنين التى ولت من
عمرى أعود إلى المكان الذى خرجت منه إلى هذه الدنيا . . دائما نشعر بحنين
جارف إلى الأماكن التى ولدنا فيها .

وإلى جانب البيت المخصص لباشمهندس السكة الحديدية كان يوجد البيت
المخصص لمدير رى الوجه القبلى والذى اقام فيه فى يوم من الايام عبد الله باشا
وهبى والد الفنان الكبير يوسف وهبى .

وبالطبع لم ادخل بيتنا . . أقصد البيت الذى كان يعيش فيه أبى وامى منذ سنوات بعيدة . . اكتفيت فقط بالتأمل من بعيد ، لدرجة أن الرجل الذى قادنى إلى البيت ظل واقفا يتطلع نحوى بدهشة شديدة . . ولعله كان يسأل نفسه - لماذا يسأل عن البيت إذا كان لا ينوى الدخول إليه ؟

نفس الموقف تكرر فى أسيوط ، فبمجرد أن توقف القطار فى محطتها حتى اندفعت إلى داخل المدينة أبحث عن البيت الذى قضينا فيه عاما كاملا . . لكنى كنت وقتها شابا . . ولذلك لم أسأل أحدا عن بيت أسيوط الذى كنت ما أزال أذكره وأعرفه دون حاجة إلى دليل يرشدنى إليه .

وبدأت أساهم بتقديم المطربين والمطربات للجمهور فى كل محطة جديدة يتوقف فيها القطار . . قطار الرحمة . .

وكان من بين المطربات المشاركات فى حفلات قطار الرحمة الغنائية . . المطربة شادية . . قدمتها أكثر من مرة فى معظم البلاد التى قدمنا فيها هذه الحفلات الغنائية . . وتبادلنا عبارات المجاملة . . ثم كلمات الشكر . . ثم تعبيرات التقدير . . ويوما بعد يوم توطدت علاقتنا .

وطالت فترات الحديث بيننا سواء فى القطار أو داخل دور السينما التى كنا نقيم فيها هذه الحفلات الغنائية كلما توقف القطار فى محطة جديدة . . وعندما توقف القطار فى آخر محطة . . فى القاهرة . . شعر كل منا برغبة قوية فى رؤية الآخر مرة . . ومرات أخرى كثيرة .

أقوى من الحب

كان موقفى حرجا وشائكا . . فأنا زوج . . وحياتى الزوجية هادئة ومستقرة . . ولى طفل أحبه . . ورغم ذلك كله لم أقدر على مقاومة هذه الدعوة الحارة القادمة من أعماق نفسى التى تدفعنى دفعا للذهاب للقاء شادية . . صراع نفسى نشب فجأة فى داخلى . . صراع بين الزوج الوقور الذى يريد أن يتجنب العواطف التى تؤشك أن تهب فتقتلع جذور استقرار حياته الزوجية . . وبين مشاعر الشباب المتأججة التى لا تعترف فى معظم الأحيان بالعقل أو المنطق وتندفع هائجة غير عابئة بشيء . . وكنت أشعر بأن الشاب الذى فى داخلى هو الذى يؤشك أن ينتصر على منطق الزوج الوقور !

أية قوة مجهولة تلك التى تغير مسار سفينة حياتى ، فتجعلها تتجه نحو مرفأ آخر . . وشاطيء غير الشاطيء الذى كنت أنوى أن أرسو وأستقر عليه حتى لحظات الممات .

إليه قوة تلك التي تحركنا في الاتجاه الآخر المضاد . . قد يكون الانسان ذكيا . .
وواعيا . . ومدركا لأمور كثيرة . . ويعرف ما الذي يريده بالتحديد . . وفي أى
اتجاه يسير . .

ورغم ذلك تتجه سفينة حياته إلى شاطئ آخر غير الذي يريده . . ويجد نفسه
مستسلما لرياح المقادير التي تحركت نحو الشاطئ المجهول .
هل هي الرغبة في تحدى النفس . . أم تحدى المنطق . . والزمن . .
والمجهول ؟ ما الذي أصاب عقلى وقلبى منذ ان ركبت ذلك القطار الذى اسمه قطار
الرحمة ؟

أننى أبدو كما لو كنت مسلوب الإرادة . . أسير كالممنوم مغناطيسيا . .
لا أقاوم . . ولا أنوى المقاومة . . بل أبدو مأخوذاً بذلك الذى يحدث لى . . وإن
كنت أحيانا قد أوشكت على اتخاذ قرار بالفرار من معركة القلوب التى ينتصر فيها
الحب دائما . .

وشاءت الظروف أن يتم ترشيحى لبطولة فيلم جديد . . وأمام من ؟ شادية . .
وجمعنا مرة أخرى فيلم « أقوى من الحب » الذى يخرج عز الدين ذو الفقار . .
ويجرى تصوير أحداثه فى الاسكندرية . وهكذا عدنا من جديد لنركب معا قطار
الرحمة لم يكن يتحرك هذه المرة فوق القضبان الحديدية . . بل كان ينزلق فوق
رمال الاسكندرية الناعمة . . ولا تستطيع قوة أن تمنع اندفاعه نحو المجهول
الغامض .

كنت أؤدى فى ذلك الفيلم دور ضابط مبتور الذراع متزوج من طبيبة (مديحة
يسرى) كانت تعامله بجفاء . . وفي الوقت الذى اختفى فيه الحب داخل بيت الزوجية
- وبينما هو متعطش للكلمات الودودة الرقيقة . . والعواطف الدافئة . . تظهر فى حياته
هذه الانسانة الأخرى (شادية) التى تغدق عليه من حنانها وحبها . . وبلا حدود لقد
ظهرت فجأة فى ليل حياته المظلم لكى تعيد إليه البهجة المفقودة والأمل الضائع .
ويبدو أن قصة الفيلم العاطفية قد ألهمت مشاعرنا . . وأشعلت نار الشوق فى
أعماقنا . .

ما الذى حدث لى ؟ هل هذا خطأ أم صواب ؟

أننى لست من هؤلاء الرجال الذين يغازلون الفتيات والسيدات ويلحقونهن بإصرار
عجيب يصل أحيانا إلى حد الصفاقة . . كانت صحتى جيدة . . فأنا أبدو أصغر من
عمرى بعشر سنوات . . لأننى لم أسرف فى تبديد طاقتى وشبابى خلال فترة
المراهقة . . كنت مولعا بالألعاب الرياضية . . ولم يكن عندى وقت أضيفه فى هذه

المعاكسات التى تشغل المراهقين عادة فى مثل ذلك العمر . ومضت فترة المراهقة لكنى ظللت أبدودائما لمن يرانى أصغر من عمري الحقيقى بعشر سنوات . . ورغم صحتى الجيدة ومشاعرى الشابة . . لم أكن أسعى أبدا لمعاكسة ومطاردة الفتيات . . ربما كنت أنطلق من موقفى هذا من مبدأ أخلاقى . . وكنت دائما أسأل نفسى - هل أقبل ان يحدث ذلك مع واحدة من أخواتى ؟

لكنى وجدت نفسى فى موقف لا أحسد عليه . . رجل متزوج وقع فى الحب ولا يستطيع أن يهرب منه ولا أن يجد حلا . . ولم أجد أمامى غير هذا الحل الوحيد . . الانفصال عن زوجتى فتحية . . لقد كنت دائما صادقا فى مشاعرى معها . . لم أمارس معها الكذب . . ولا أستطيع أن أخدعها . . فلماذا لا أعترف بالامر الواقع - بأن مشاعرى نحوها قد تغيرت . . أو على الأقل لم تعد قوية كما كانت . . قطار الرحمة هو المسئول عن كل ما حدث . .

وكان لابد أن أفترق عن فتحية . . فأنا لا أجيد لعبة المراوغة والخداع . . ولا أستطيع أن أتحمل كل هذا العذاب النفسى . . النهايات دائما تكون مؤلمة ودائمة . . البدايات عادة ما تكون سهلة . . أما لحظات النهاية فتكون دائما مختلطة بالآلام والدموع . . أهم شئ كان اتفاقنا على المحافظة على ابننا نادر وحمايته من الآثار السلبية لتلك التجربة .

وبعد ثمانى سنوات من الحياة الزوجية انفصلت عن زوجتى فتحية شريف . . وفى عام ١٩٥٣ . . وفى الاسكندرية بالتحديد . . وبعد انتهائنا من تمثيل فيلم (أقوى من الحب) تزوجت شادية . . وحكايتى مع شادية حكاية طويلة . . وعجيبة !

عندما توقف القطار فى محطة الفراق . . وقلت وداعا !

● بعد زواجى من شاديه فكرت للمرة الاولى فى خوض تجربة الانتاج السينمائى . . صحيح انى عملت من قبل مديرا للانتاج فى استديو مصر . . لكنى فى تلك المرة اردت ان انتج لحسابى الخاص . . باموالى . . وبجهودى الكاملة . . وشجعتنى على تنفيذ تلك الفكرة خبرتى الانتاجيه التى كنت قد اكتسبتها خلال فترة عملى باستديو مصر . .

كانت شاديه حتى ذلك الوقت متخصصه فى تقديم الأدوار (الخفيفة) فى الأفلام ذات الطابع الكوميدي الغنائى . . وكانت عادة ما تقدم بعض الأغانى ضمن أحداث تلك الأفلام التى شاركتها فى بطولتها كمال الشناوى وأسماعيل ياسين ، ولا انكر ان تلك الأدوار الخفيفة التى أظهرتها فتاة مرحة خفيفة الظل . . قد حققت لشاديه قدرا من النجاح . . لكنها لم تعبر عن كل طاقاتها الفنية . . كنت اشعر ان فى أعماقها كنوزا فنيه خافية تحتاج فقط لمن يكتشفها . . أنها اكبر بكثير من تلك الأدوار الخفيفة التى اعتادت تقديمها . . ليس ذلك دفاعا عن زوجتى أو تعصبا لها . . فكل زوج يدافع عن زوجته التى اختارها شريكة لحياته . . ويرى فيها كل المزايا . . وكل المعانى الجميلة . . وأنا مثل اى زوج محب لزوجته كنت اجد فى شاديه دائما الانسانه الرقيقه . . المهذب . . ابنة الأصول التى جاءت من بيت طيب . . ولم تات من الشارع !

لكن رأى فيها كفنانه لم يكن عاطفيا أبدا . . أنه إحساس فنان قبل أن يكون إحساس زوج . . وأصبح من بين أهداف حياتى الجديد أن أرى شاديه فى المكان المناسب اللائق بها . . وأن يعرفها الناس كما لم يعرفوها من قبل . . ممثله تقدم الأدوار الكبيرة التى تحتاج لمثله كبيرة وليس لمطربه تمثل وتغنى . . لذلك عقدت العزم على أن أخوض تجربة الانتاج السينمائى مهما كانت نتائجها وعواقبها . . وأول أسس النجاح اختيار القصة المناسبة التى بدونها لا يكون للعمل السينمائى الناجح معنى أو وجود .

لم أكن أشعر بأنها مغامرة . . بل كنت أحاول بهدوء أن أضمن لانتاجي السينمائي الأول أفضل الظروف . . وأن أستفيد بقدر الامكان من تجاربي السابقة في استديو مصر . . ويكفيني ويرضيني جدا أن أعطى تكاليف الانتاج . . وأن أقدم أفلاما أفخر بها عندما أقول أنها من انتاجي . . أفلام لا أخجل منها . . ولا أخفض رأسي اسفا عندما يسألون عن 'منتجها' . .

ووفقني الله في العثور على قصتين جيدتين (شاطيء الذكريات) و (ليلة من عمرى) . . وبدأت أشرع عمليا في الخطوات العملية للانتاج . . كنت أشعر أن شادية قلقة . . فدورها في (شاطيء الذكريات) مختلف عن أدوارها السابقة . . وأيضا في (ليلة من عمرى) مختلف كثيرا عن الأدوار التي أدتها في أفلامها ذات الطابع الخفيف والمرح . . ولأنى مثلها ممثل . . كنت أحترم ذلك القلق الذى يلزم الممثلين والممثلات خاصة عندما يخوضون تجربة فنية جديدة . كانت شادية تتصور أن أدوارها الخفيفة الغنائية هى أنسب الأدوار لها . . ولا تتصور نفسها أبدا وهى تؤدي دورا خاليا من المرح . . ولا تتخيل نفسها بطله لفيلم خال من الاغاني الناجحة التى تقدمها . . لكن مع مرور أيام التصوير ، بدأ قلقها يزول بالتدرج . . ثم كانت الشهادة التقديرية التى حصلت عليها من الجمهور الواعى الذى أعجب بدوريتها الجديدين في (شاطيء الذكريات) و (ليلة من عمرى) . .

كان هذان الفيلمان بداية لمرحلة جديدة في حياة شادية انتقلت فيها من الأدوار الخفيفة الى الأدوار الجادة الكبيرة . وتحولت من أداء الأدوار ذات الطابع الخفيف الى أداء الأدوار التراجيدية المؤثرة . . من هنا كان اتجاهها لأدوارها الأخرى ذات القيمة الفنية الكبيرة مثل دورها في فيلم (موعد مع الحياه) إلى جانب فائق حمامة . . ودورها فيما بعد في فيلم (المراه المجهولة) . . وكان ذلك أحد الجوانب الايجابية في حياتنا الزوجية . .

النجاح المشترك شيء رائع . . أن أنجح أنا . . وأن تنجح زوجتى . . ليصبح نجاحنا المشترك قوه لنا نحن الاثنين . . لكن الحب الزائد عن الحد سلاح ذو حدين . . فجأة توقف قطار الرحمة . . قطار السعادة . . توقف في منتصف الطريق . . قبل الاوان . . قبل أن يصل إلى محطته الاخير . . اقصى شيء أن يضطر المسافر للتوقف في منتصف الرحلة . . أن ينزل في محطة لا يرغبها . . أن ترسو سفينته في ميناء لا يتوقعه . . وعلى شاطيء موحش لا يميل إليه . . النزول الاضطرارى مؤلم ومحزن . . لكنه أحيانا ما يكون ضروريا لاستمرار الحياة . . ما زلت اذكر لقائى الأول مع شادية داخل قطار الرحمة المتجه إلى أبعد بلاد

الوجه القبلى . . ابتسامه فى المحطة الاولى . . وتعارف فى المحطة الثانية . .
وإعجاب فى المحطة الثالثة . . و . . وعندما شعرت بحاجتى إليها . . قلت أنه
موعدى مع السعادة . . وتركت زوجتى الأولى . . أم نادر . . ليس صحيحا أن الزوج
الذى له أولاد يتخذ قرار الانفصال عن زوجته بسهولة . . ودون ألم . . بالعكس أنه
أصعب قرار . . تضحية كبرى . . قرار إذا لم يكن صحيحا فإنه يدمر صاحبه . .
كانت حياتى مستقرة مع زوجتى الأولى فتحية شريف . . كان كل شيء هادئا . . حتى
ظهر ذلك القطار العجيب . . قطار الرحمة الذى هزنى حتى الأعماق . . وزلزل
روحى . .

لكنى لم أكن أنتظر النهاية بمثل تلك السرعة الخاطفه . . وبعد ثلاث سنوات
فقط . . كنت أتصور انى سأقضى بقية سنين العمر إلى جانبها . . فى عام ١٩٥٦ وأثناء
الاعتداء الثلاثى على مصر حدث الانفصال بيننا . . وكتبت الصحف وقتها كلاما
كثيرا . . قالوا أن غيرهه هى السبب . . وقالوا . . وقالوا . . لكن هل غيره الزوج على
زوجته جريمه ؟

أن غيره الزوجه على زوجها . . أو غيره الزوج على زوجته . . شيء طبيعى وعادى
لا يستحق كل تلك الدهشه . . ولا أريد أن أخوض كثيرا فى الأسباب التى دفعتنا
إلى الطلاق بعد زواج ثلاث سنوات . . فهذه امور تخص الزوجين وحدهما . .
ومن حق كل انسان أن يحتفظ بتفاصيل حياته الخاصه . . المهم أن الطلاق قد
حدث .

وظلت الصحف تكتب كثيرا عن حكاية طلاقنا - وكأنها لا تجد أى حكايات
أخرى تتحدث عنها . . دون مراعاة لمشاعرى الخاصه وحالتى النفسيه . .
والحقيقة أن حالتى النفسية قد ساءت جدا بعد انفصالى عن شادية . . ولولا
الصيد لكنت قد أصبت بأخطر الأمراض . . هوايه الصيد كانت منقذى
الوحيد . . صيد السمك يجعل الانسان ينسى همومه . . ويقضى على الشعور
بالوحده . . الصياد دائما فى حالة انتظار . . وهو فى حاجة باستمرار إلى قدر كبير
من التركيز الذهنى حتى لا يفلت الصيد فى لحظه شرود . . الذى يصطاد السمك
يتعلم من البحر التأمل . . والصبر . . بالإضافة إلى أن الهواء المتجدد ينعش
روحه المعذبه خاصة اذا كان قد خرج من أزمة نفسيه غير عاديه .

وبعد انفصالى عن شادية ركبت سيارتى واتجهت إلى الاسكندريه . . والقيت
بهمومى وأحزانى وسط ذلك البحر الذى ليس له نهاية . لقد أفادنى الصيد كثيرا
فى أزماتى العاطفيه وخاصة فى تلك الأيام التى أعقبت انفصالى عن شادية .

والحقيقة أنى أخذت هذه الهواية . . هواية صيد السمك عن شاديه . . كانت قد ارتبطت بهذه الهواية منذ أن كانت طفلة صغيرة تعيش مع والدها فى انشاص . . وحول البيت الذى عاشوا فيه هناك كانت توجد الترع وتنتشر بكثرة . . ومن هنا تولدت هذه الهواية فى نفسها . . وعندما تزوجتها كانت تمارس هواية صيد السمك . . وأصبحت أخرج معها لأشاركها هذه الهواية لدرجة أنى أصبحت مرتبطا بها أكثر منها . . والغريب أن تعلقها بتلك الهواية بدأ يتضائل فى نفس الوقت الذى بدأ فيه تعلقى بصيد السمك يزداد حتى أصبح هوايتى الأولى المفضلة . . هى تنساها . . وأنا أعتبرهما خلاصى . . هى التى علمتنى فن الصبر . . فن صيد السمك .

لكن يجب أن أقول الحقيقة . . شاديه لم تكن أبدا ماديه . . ليست من اللاتى يجرين وراء الماديات . . المشاعر الانسانية الصادقة أهم عندها من كل شىء . . شادية إنسانة خجولة . . لكن تنقصها الجرأة . . وهذا ما يسبب لها أحيانا بعض المتاعب . . شاديه إنسانه يحبها من يعرفها . . صوتها هادىء . . رقيقة بطبعها . . تلك هى الحقيقة التى لا أستطيع إخفاءها أو إنكارها . .

لقد افترقنا لكنى لا أحمل لها أى حقد أو ضغينه . . بل احتفظ لها بكل التقدير . .

توقف قطار ما بعد منتصف العمر فى محطة الفراق . . واطلق صفارة الوداع . . وأندفعت طيور الفرخ مذعورة مهاجرة إلى أرض الأحزان البعيدة . . بحثا عن النسيان . . لعلها تجد هناك السعادة المفقودة . . والامل الضائع مع العمر الذى يسرع خطاه بغير تمهل أو انتظار . . وأقولها صريحة . . لقد اكتشفت الحقيقة فى وقت متأخر . . كما يحدث دائما بعد فوات الأوان . . كان (أولاد الحرام) وراء انفصالنا . . سامحهم الله . .

ضابط الفرسان الرقيق

لكن الصيد لساعات طويلة لم يكن الدواء القوى للشعور بالوحدة . . لم يكن التعويذه السحرية التى توصلنى لطريق النسيان . . كيف أقضى كل وقتى فى الصيد . . مع الأسماك ! الحل الوحيد هو الانهماك فى العمل . . الانشغال بأدوار وأفلام جديدة . . العمل الفنى متعه . . ونسيان أيضا للهموم الشخصية . . حاولت أن أعود من جديد إلى عالمى الذى أجد نفسى فيه . . فى الاستديوهات . . والبلاتوهات أكاد أذوب فى الشخصيات التى أؤديها . . أنفعل بحياتها . . وأعيش مواقفها . . فأنسى مؤقتا حياتى وهمومى الخاصة . . وأعود آخر الليل مرهقا لأنام ،

وأصبح في الصباح التالي لأعيد الدورة من جديد . . لأدور من جديد في دائرة النسيان . .

كانت عودتي إلى الاستديوهات ثقيلة في بداية الأمر . . لكنني تماسكت . . لم تهزني النظرات الشامته . . ولا الأبتسامات الصفراء الهازئة . .

لم أتأثر بكلمات الحاقدين الشامتين . . ومضيت متفانيا في أداء أدوارى الجديدة التي بدأت تأخذ طابعا جديدا مختلفا . . لقد ظللت (الفتى الأول) لفترة طويلة - أمام فاتن حمامة . . ومديحه يسرى . . وشادية . . وبقية ممثلات السينما المعروفات . . فتى أول من نوع مختلف . . فتى أول في الأربعين . . فيه وقار الكبار . . لا يعتمد على صغر سنه وجمال ملامحه . . أذكر مثلا دورى في فيلم « بين الأطلال » الذى أخرجه عز الدين ذو الفقار وشاركتنى في بطولته فاتن حمامة . . وهو من الأفلام التي حققت نجاحا خرافيا . . ولم يقل أحد أن الدور لم يكن مناسباً لى - لأن الشخصية تمر بمراحل مختلفة بطريقة مقنعة . .

وأثناء تصوير ذلك الفيلم توثقت علاقتى بالضابطين السابقين (عز الدين ذو الفقار) و (يوسف السباعى) . . وإذا كنت قد أكتشفت رقة وإنسانية ضابط المدفعية السابق عز الدين ذو الفقار من خلال تعاملى معه في أكثر من فيلم . . فقد أكتشفت أيضا تلك الرقة المتناهي في ضابط الفرسان الأديب يوسف السباعى . . لم أكن قد التقيت به من قبل وأذكر ذات يوم وبينما كنا نستعد للبدء في تصوير فيلم (إنى راحله) . . دق التليفون . . ورفعت السماعة . . وسمعت صوتا مهبذا عطفوا . . حاولت أن أميزه . . لكنه كان صوتا غير مألوف بالنسبة لى . .

— أذى الصحه ؟

— الحمد لله .

— أنا يوسف السباعى .

— أهلا وسهلا . . فرصه سعيدة

قال : أنا سعيد لانك أنت بالذات الى حتمثل دور البطولة مع الفنانة مديحه يسرى . . اختيار سليم فعلا .

قلت : الاختيار السليم هو اختيار المخرج للرواية الجيدة التى كتبتها .

قال : أيه رايك نتقابل ؟

قلت : بعد التصوير .

قال : لا . . قبل التصوير والافضل أن نلتقى اليوم . . عايز أتكلم معاك عن شخصيات روايه (إنى راحله) . . خصوصا الشخصيه الى حتمثلها أنت بالذات . .

ضرورى أشوفك .

ولا أنكر أنى شعرت بالدهشة . . فلم يكن مألوفاً فى ذلك الحين أن يطلب مؤلف القصة بطل الفيلم ليتحدث معه عن دوره فى الفيلم قبل البدء فى التصوير . . وليحدثه عن أدق تفاصيل الشخصية التى سيقدمها على الشاشة . . وذهبت الى الأستاذ (يوسف السباعى) الذى أستقبلنى بمودة وبحفاوة . . وأبتسامة عذبة . . وظل يحدثنى عن شخصية البطل كما يتصورها . تكلم عن أدق التفاصيل . . وطلال النقاش وهو يشرح ويوضح ويعلق . . واكتشفت فيه رفته الشديده . . وأدبه الجم . . وذوقه العالى . . واكتشفت أيضاً بساطته . . وطيبه قلبه . .

وتكرر نفس الموقف عندما بدأنا نستعد لتصوير فيلم (بين الأطلال) . . نادانى فذهبت إليه . . وظل لساعات يحدثنى عن تصويره السينمائى لشخصية البطل التى سأؤديها . . وعن تفاصيل الرواية كلها . . وأثناء التصوير جاء إلى الاستديو أكثر من مره ليشاهدنا ونحن نقدم أعماله الأدبيه على الشاشة . . كان حريصاً على عمله . . ليس هدفه فقط أن يوقع العقد . . ولا يهمه فقط أن تظهر روايته على الشاشة . . بل كان يهمه أولاً أن تظهر على الشاشة بالصورة اللائقة التى يتمناها . . والحقيقة أنه كان لطيفاً فى أبدائه لملاحظاته . . حتى عندما كانت له بعض الانتقادات . . كان يقدمها هامساً كما يفعل المهذبون . . وكدت ألا أصدق أنه كان ضابطاً فى سلاح الفرسان . . فالضباط عادة بحكم حياتهم العسكرية يكونون جادين أكثر من اللازم إلى حد الغلظة . . لكن يوسف السباعى أخذ من الأديب الفنان رفته . . وأدبه . . وأنسانيته . . كان يوسف السباعى رجلاً رقيقاً . . وأديباً كبيراً . . كان يشعر نحوى بالارتياح . . وأنا أيضاً كنت أبادله نفس شعور الارتياح .

المهم أن فيلم (بين الأطلال) حقق نجاحاً كاسحاً . . ولا أنسى أبداً تلك الليلة التى ذهب فيها أبنى (نادر) إلى دار سينما ديانا ليشاهد الفيلم الذى أظهر فى مشهده الأخير وأنا احتضر وأموت . . وفجأه . . ووسط الصمت المخيم على دار السينما من شدة التأثر . . سمع الجمهور ضوئاً يصرخ :

— لا . . لا . . بابا ماماتش . . بابا عايش . . ماماتش . . كان أبنى نادر هو الذى يصرخ . . رأى والده يموت على الشاشة . . فظنها الحقيقة بحكم صغر سنه . . وحاول الحاضرون أن يهدئوا من روعه . . وأن يفهموه بأن ما يراه على الشاشة ليس إلا تمثيلاً . . لكنه لم يصدق . . ولم يتوقف عن البكاء . . الا عندما رانى عائداً إلى البيت . . فصرخ من الفرح . . وراح يقبلنى . . ودموع الفرح تسيل على خديه .

وضاع منى الكلام

لم أعد شابا كما كنت . . الشعرات البيضاء تسالت إلى راسى . . التجاعيد أصبحت واضحة فوق وجهى . . لكن المخرجين لم يقتنعوا بذلك . . وظلوا يصرون على ترشيحى لأدوار الرجل العاشق الذى تهواه النساء . . وكان لابد أن أقول (ستوب) . . لقد مضى زمن الفتى الأول . . لا أريد أن أؤدى بعد الآن أدوار الفتى الأول على الشاشة . . كنت أستطيع أن أذهب للخارج لأعمل عمليه (شد وجه) فى أنجلترا بالذات حيث يتم هناك ببراعة إخفاء تجاعيد الوجه وبصمات الزمن الواضحة . . كنت أستطيع أن أخفى شعرى الأبيض بصبغه سوداء لن تكلفنى أكثر من بضعة قروش . . ولكن ما قيمة ذلك كله ؟

ولماذا نقف ضد حركة الطبيعة ومنطق الأشياء ؟

من الصعب أن تعترف المراه بأنها قد دخلت مرحلة الشيخوخة . . والنساء لهن أعذارهن المقبولة . . ولكن لماذا يفعل الرجل ذلك ؟ وماهى أعذاره ؟ مادعنى أن يخفى الرجل حقيقة عمره ؟ ولماذا يتوارى خلف الأصباغ التى لن تنجح فى خداع الآخرين ؟

ماذا سيقول عنى الجمهور الذى ظل يرانى على الشاشة ما يقرب من عشرين عاما ؟ ماذا سيقول عنى وهو يرانى متمسكا بأدوار الفتى الأول التى لم تعد تناسبنى ؟ بالطبع سيسخر الجميع منى . . فلماذا أجعل نفسى أضحوكة فى أعينهم ؟ لماذا أبدو متصابيا ؟

الناس لن يصدقونى فى تلك الحالة . . وعندما لا يصدق الناس ممثلا . . فتلك هى نهايته . . شعرت بأن أحاسيسى ستكون مزيفه . . مصبوغه مثل شعرى . . ومشدوده مثل جلد الوجه . . لا . . لا . . لن أصبغ شعرى . . ولن أشد جلد وجهى . . سأتبقى كما أنا . . بدون إدخال أى تحسينات أو تعديلات .

إلى متى سأظل أقول للبطله (شايغه القمر بالليل) ؟

ليس معنى ذلك أنى أخجل من أدوارى التى أديتها فى تلك المرحلة . . بالعكس فأنا اعتز بدورى فى فيلم (أقوى من الحب) وأدوارى فى (شاطئ الذكريات) و (ليله من عمرى) و (أنى راحله) و (بين الأطلال) . . وكيف أنسى فيلم (موعد مع الحياه) . . كيف أنسى الموقف العجيب الذى تعرضت له أثناء تصويره ؟

كان البعض يتصور أنى سكير كبير . . بل وتمادوا فى تخيلاتهم وتصوروا أنى من مدمتى المخدرات أيضا . . قد يكون السبب أنى ظهرت كسكير فى بعض أفلامى . . لكن ذلك ليس صحيحا تماما . . فليس شرطا أن يكون الممثل (حشاشا) حتى يستطيع أن

يعبر عن أنفعالات شخص يدخن الحشيش . . ولا أنكر أنى أتناول بعض المشروبات الكحوليه ولكن ليس للدرجه التى تفقدنى وعى . .

حدث مثلا ذات مره ان رشحنى المخرج عز الدين ذو الفقار لاداء دور امام فأتين حمامه فى فيلم (موعد مع السعادة) . . وكان المفروض ان ابدو سكيما فى بعض مشاهد الفيلم . . ولم اكن سكيما فى الواقع . . بل كانت المرة الاولى التى ساؤدى فيها دور السكير الذى يفقد وعيه تماما . . وينسى كل تصرفاته . .

وفكرت ان أجرب بنفسى . . ان أتناول الشراب حتى أحس بنفس احاسيس (السكران) . . وحتى أؤدى دور السكير على الوجه الاكمل . . وبالفعل أحضرت زجاجه ويسكى . . وظللت أشرب . . واشرب . . وتصورت أنى قد أصبحت فى (الفورمه) . . وأنى بهذه الطريقه ساعرف كيف أؤدى دور السكير بأفضل صوره . . ساعرف كيف اندمج فى الدور اندماجا كاملا . . وكانت أفلام عز الدين ذو الفقار مشهوره بالديالوجات الطويله . . فجعل الحوار فيها ليست قصيره سريعه . . بل معظم المشاهد طويله . .

المهم أن وقت التصوير كان قد حان . . وأنا فى غاية الاندماج . . ليس فى التمثيل . . ولكن فى تناول الويسكى . . ووقفت أمام الكاميرا . . وكان المفروض أن أقول الحوار الذى كان مكتوبا فى ثلاث صفحات . . ولم اتذكر كلمه واحده . . حاولت أن استرجع ما قرأته وحفظته . . ولكن بلا جدوى . . ضاع الكلام من ذهنى - وأصبح لسانى ثقيلًا بطيئًا فى حركته . . وحاولت أن اندمج . . ولكن بلا فائده . . وتطلع نحوى المخرج عز الدين ذو الفقار مندهشا وقال لى :

— أنت شارب ؟

قلت : أبوه .

قال : ليه ؟

قلت : علشان اندمج فى الدور .

وقال عز الدين ذو الفقار

— وعازب تمثلى ؟ قوم . . قوم روح على البيت . . بكره تجبلى فايق . .

وخرجت من الاستديو وأنا غارق فى خجل وعرقى . . كان منظرى يدعو

للرثاء . . وكان درسا لا أنساه أبدا . !

حكاية الزوجة رقم ٣ . .

● إختارنى المخرج حسن الامام للمشاركة فى بطولة فيلم « زوجة من الشارع » الذى كان مفروضا أن يتم تصويره فى بلدة « أجا » . . وتحمست أكثر للفيلم بعد أن عرفت أن هدى سلطان وكمال الشناوى سيشاركاننى فى العمل والبطولة فى الفيلم . . عملت من قبل مع كمال الشناوى وأعرف حبه لفنه ورغبته المخلصة فى تقديم الجديد المتطور . . وهدى سلطان ممثلة ومطربة لها فى نفسى قدر كبير من الاحترام . .

وقالوا أيضا أن هناك ممثلة جديدة إسمها « نادية الجندى » ستظهر فى الفيلم . .

لم أكن قد سمعت باسمها من قبل . . اننى دائما مع إتاحة الفرص للوجوه الجديدة . . لكن دون أنكار خبرات الأجيال السابقة من الممثلين والممثلات . . ورايت نادية الجندى لأول مرة فى بلدة (أجا) . .

لاحظت أنها شابة . . وجميلة . . وشديدة الحيوية . . ومن خلال العمل أمام الكاميرا . . والظهور فى مشاهد مشتركة . . كان لابد أن يكون بيننا حوار . . وتعليقات . . وكأى ممثلة جديدة . . فأنها كانت بحاجة الى توجيهات وارشادات من سبقوها فى ذلك المجال . . وأنا بطبعى لا أبخل أبدا بالتوجيهات المخلصة . . و دائما أقدمها للممثلين الجدد الذين يعملون معى . . وكان طبيعيا أن أقدم تلك التوجيهات للممثلة الجديدة نادية الجندى . .

وفى فترات الاستراحة ما بين التصوير بدأت افكر بعمق فى حياتى المجدية . . الموحشة . . التى أصبحت مثل صحراء قاحلة . . ليس فيها غير كئيبان الرمال . . لا خضرة . . لا ماء . . لا حياه . . والظما يكاد يقتلنى . . والشعور الحاد بالوحدة يلاحقنى . .

إنشغل بحياة الاستديوهات فى النهار . . ولكنى عندما يأتى الليل الموحش . . أشعر

بالاكتئاب - فليس حولى من يصادفنى . . من يسمعنى . . من يرد على تساؤلاتى . .
من يسمع ندائى . . ماذا يفعل رجل وحيد لو داهمه المرض فجأة ؟
ست سنوات عشتها وحدى بعد انفصالى عن شادية . . أصبحت أشعر أكثر من أى
وقت مضى بحاجتى إلى شريكة وأنيسة تبدد وحشة البيت والليل . . وتعيد إلى حياتى
المجدبة شيئا من الحياة . .
بعد الأربعين تشتد حاجة الانسان الى شريكة لحياته . . لمن تؤنس أيامه ولياليه . .
وتخفف عنه وحدته . . وهمومه . .
ولكن لماذا تنتابنى كل تلك الهواجس بعد ان رايت الممثلة الجديدة نادية
الجندى ؟
هل . . نعم . . بدأت اتخيلها شريكة لحياتى . . ؟ والغريب انى لم أفكر كثيرا
فى احتمال عدم حدوث تقارب بسبب فارق العمر . . العواطف الجارفة تحجب العقل . .
تمنعه حتى من التفكير السليم . .
لكن هكذا كانت بداية قصة « الزواج الثالث » . . مع إنتهاء فيلم « زوجة من
الشارع » . . عدت الى بيتى بزوجة . . وبعد عام من الزواج أنجبت نادية إبننا
« هشام » . .

دعوة الى خان الخليلي

دق التليفون . . وسمعت الاستاذ سيد بدير وهو يدعونى للقاءه فى مكتبه الجديد
الذى انتقل اليه مؤخرا بعد أن أصبح مديرا لمسارح التليفزيون . . ذلك المشروع الفنى
الكبير الذى لا تكف الصحف عن الحديث عنه . . منذ فترة بعيدة لم أسمع صوته . .
العمل المتواصل يحرم المرء من متعة اللقاء مع الاصدقاء الاعزاء . .
ان علاقتى بالاستاذ سيد بدير قديمة جدا . . منذ أن كنت هاويا بفرقة أنصار
التمثيل والسينما التى كان هو أحد المسئولين عنها .
فى الموعد المحدد للقاء كنت أجلس أمام الاستاذ سيد بدير الذى بادرنى قائلا :
— ما رايك لو نتعاون معا .
— باى شىء ؟
— بالتمثيل طبعاً .
قلت - انت تعرف مدى حبى للمسرح . .
قال - أذن فانت موافق .
قلت - ليس لدى أى مانع .

وعملت في ثلاث مسرحيات - الأولى (خان الخليلى) التى أخرجها حسين كمال ،
والثانية (خطيئة حواء) وأخرجها جلال الشرقاوى ، والثالثة (الرجل والطريق)
وأخرجها محمود الشريف . .

وكنت سعيدا بهذه التجربة التى أعادت لعقلى كل الذكريات الرائعة القديمة ، وملأت
نفسى بحماس الشباب . . لقد ذكرتني ببداياتى وخطواتى الأولى على خشبة المسرح . .
كان حلمى الكبير أن أشارك فى بطولة إحدى المسرحيات ، وأن أحقق نجاحا مسرحيا
كبيرا . . وتشاء الظروف أن تتحقق لى هذه الأمنية . . ولكن بعد سنوات طويلة . . بعد
أن أصبحت نجما سينمائيا .

ورغم أنى لم أواصل العمل مع فرق التليفزيون المسرحية لعدم تمكنى من السفر
لعرض هذه المسرحيات أمام جمهور المحافظات البعيدة ، بسبب انشغالى وارتباطى
بعقود وأدوار وأفلام سينمائية جديدة ، إلا أن علاقتى بالمسرح لم تنته عند هذا الحد -
بل تجددت مرة أخرى عندما بدأت أعمل على مسارح هيئة المسرح التى يسمونها
مسارح القطاع العام . لكن الظروف التى واجهتنى بعد ذلك جعلتنى أبتعد عن المسرح
رغم حبى الشديد له . .

حدث مثلا أن رشحنى المخرج كمال ياسين لدور البطولة فى مسرحية للاستاذ توفيق
الحكيم أسمها (شاهين ما مات) . . ولم اتردد لحظة واحدة فى قبول الدور . .
فالنص جيد . . والشخصية التى سأؤديها من الشخصيات تمتع وتشبع الممثل . .
وبدأنا البروفات . . وكان يشاركنى فى بطولة المسرحية سميرة محسن وحسن
عابدين . . ومجموعة أخرى من الممثلين الجيدين .

وفوجئت أن الوقت المحدد لعرض المسرحية هو شهر مايو . . شهر انشغال كل
البيوت بالامتحانات . . فكل طالب مشغول بالاستعداد للامتحانات . . وكل أسرة
مشغولة بالطبع بأبنائها الذين تحرص على نجاحهم بل وتفوقهم . فأى طالب ذلك الذى
سيشغل نفسه بمشاهدة إحدى المسرحيات مهما كانت جيدة ورائعة - خاصة قبل بدء
الامتحانات بأيام قليلة ؟

وأى أسرة تلك التى ستترك أبنها فى تلك الظروف العصيبة وتذهب لقضاء ليلة
ممتعة . . تاركة آياه وحده مع قلقه ومخاوفه ؟

وحدث ما توقعته . . فذات ليلة وجدت فى صالة المسرح عشرة متفرجين
فقط . . مفاجأة غير سارة لآى ممثل . . هذه هى نتائج التوقيت الخاطئ لعرض
مسرحية جديدة فى شهر مايو . . شهر الامتحانات . . وفى تلك الليلة قررت
الاعتامل مرة أخرى مع فرق القطاع العام .

لكن حنينى للمسرح عاودنى مرة أخرى . . وأمام أصرارى على عدم التعامل مع فرق هيئة المسرح - لم يكن أمامى سوى فرق القطاع الخاص . . ووافقت على الاشتراك فى بطولة مسرحية أسمها (كله عاوز من كله) . . وعندما بدأ عرض المسرحية فى الاسكندرية - كانت أمواج البحر تغطى على كل شيء . . فالمسرح الذى تقدم فيه المسرحية قريب جدا من الشاطئ لدرجة أن أصواتنا كانت تضيق وسط أحداث هدير أمواج البحر . . بل وصل الأمر الى حد أن الممثلين أنفسهم لم يتمكنوا من سماع بعضهم البعض على خشبة المسرح . يضاف الى ذلك مستوى المسرحية الفنى الذى لم يكن لائقا بى أن أقبله .

بالإضافة كذلك الى متاعب السفر . . فكان لابد أن أعود كل يوم الى القاهرة بسبب ارتباطات قديمة بالعمل فى بعض الأفلام السينمائية . فى الليل أمثل فى الاسكندرية . . وعند منتصف الليل أبدأ رحلة العودة الى القاهرة لكى أشارك فى تمثيل الفيلم الذى كنت مرتبطا به . . ثم أعود فى المساء الى الاسكندرية . . وهكذا . . ولم أكن أعرف النوم إلا فى القطار . . لكن حتى النوم داخل القطار كان نوما قلقا مرهقا . . فبمجرد أن أغمض عيني وأغفوق قليلا حتى أسمع صوت المفتش (تذاكر . . تذاكر يا حضرة) . . ثم يأتى مفتش آخر . . لدرجة أنى فكرت فى تعليق لافتة فوق صدرى مكتوب عليها (والله العظيم معايا تذكرة) .

لا أحد يمكن أن يقدر ظروف الفنان فى تلك اللحظات . . وأذكر أنى وصلت الى محطة سيدى جابر ذات مرة . . قبل رفع ستار المسرح بدقائق قليلة . . وكان من الصعب أن أعثر على تاكسى . . حاولت أن استعطف أى سائق تاكسى . . ولكن بلا جدوى . . الوقت يمر . . والستار يوشك أن يرفع . . والتاكسيات كلها مشغولة ولا تريد أن تتوقف أو حتى تتهمل قليلا . . ماذا أفعل ؟ وجدت سيارة أتوبيس مزدحمة بالركاب . . فاندفعت أجرى نحوها . . وتعلقت بباب الأتوبيس . . وعرفنى الكمسارى فصاح قائلا :

— استاذ عماد . . مش معقول ؟

قلت - اعمل ايه . . ورايا مسرح . . فى الشاطبي .

لكن الكمسارى قال معتذرا . .

— احنا مش رايعين الشاطبي . . رايعين الوردىان . .

قلت - اما متأسف . . ماكنتش اعرف .

وبدأت أتهدأ للنزول فى أول محطة . . ويبدو أن الكمسارى الطيب قد تفرق بحالى . .

فأراد أن يقدم لى خدمة انسانية . . لمحت فى عينيه تعاطفه معى . . فقلت له :

— أنا في عرضك . . عايز أوصل المسرح بأى صورة . . بأسرع ما يمكن . .
وذهب الكمسارى نحو السائق . . وهمس في أذنه بوضع كلمات . . ونظر السائق
نحوى . . ثم هز رأسه . . ووجدت الأتوبيس يغير اتجاهه . . ويسير في اتجاه آخر وبدأ
السائق يزيد من سرعة الأتوبيس . . ونظر الركاب الى بعضهم البعض مندهشين . .
وتعالت التعليقات المستنكرة . . (على فين يا أسطى) . . (الطريق مش من هنا) . .
(ماشى على كيفة) . . وشعرت بالحرج الشديد . . الحمد لله أن الركاب لم يعرفونى
جيدا . . لم يفهموا أنى السبب في ذلك التغيير المفاجئ لخط سير الأتوبيس . . وأخيرا
وجدت نفسى بالقرب من المسرح . .

وأندفعت أجرى . . ونسيت أن أشكر ذلك الكمسارى الطيب الذى قدم لى خدمة
انسانسة لن أنساها أبدا .

وإذا كنت لم أنس كمسارى الاسكندرية الطيب . . فأنتى لا أنسى أيضا ذلك الرجل
الذى أهانتى أهانة بالغة لن أنساها أبدا .

الانسان بطبعه لا ينسى من مدوا له يد العون . . من وقفوا الى جانبه في لحظات
الشدة وأيام العذاب . . ولا ينسى أيضا من حاولوا إذلاله . . من تعمدوا أهانتة .
كانت صناعة السينما قد بدأت تمر بظروف صعبة قبل نهاية الستينات . . أغلقت
الاستديوهات أبوابها . . وأطفأت أضواءها . . وأصبح معظم الفنانين في حالة انتظار
لعقود العمل التى لا تجيء أبدا . .

أكبر الفنانين عرفوا البطالة . . طاقات فنية نادرة أصبحت معطلة في أحد تلك
الأيام . . أيام الكساد السينمائى - شاعت الصدفة أن أصدم بسيارتى - دون قصد
طبعاً - سيارة أخرى . . لم تكن نتائج التصادم فادحة . . لكن صاحب السيارة
رفض التفاهم . . واصر على اتخاذ الاجراءات الرسمية التى تتبع عادة في مثل تلك
الأحوال . . وحكمت له المحكمة بمبلغ اربعمائة جنيه . . ولم يكن في جيبى ولا في
بيتى ذلك المبلغ . . ورغم ذلك تمسك صاحب السيارة بموقفه المتشدد . . ظل
يرفض التفاهم حتى على طريقة تسديد الغرامة . . كان يريد المبلغ كاملاً . .
وبأسرع ما يمكن . . وإلا فإنه سيوقع الحجز على بيتى . . لم يكن يمزح . . بل
كان جادا جدا . . وصارما جدا . . الى حد القسوة غير الانسانية .

قلت له - الا يمكن الانتظار قليلا ؟

قال - لا

قلت - امهلنى فرصة .

قال - لن انتظر أكثر من ذلك

قلت - ظروفى المادية لا تسمح الآن بدفع المبلغ

قال - إذن سينفذ حكم المحكمة بالحجز على بيتك .

وحكى له حكاية تصادم سابقة مع سيارة شخص غير مصرى . . وقلت له - لقد كان هذا الشخص كريما جدا معى . . فعندما اكتشف شخصيتى تنازل بلطف عن مطالبه . . ورفض أن يأخذ منى أى تعويض . . (الأجنبى) فعل ذلك . . وأنت أيها (المصرى) لا تريد أن تقدر ظروفى . . لكن قلبه لم يلن . . ولم يتأثر لحظة واحدة . . وقلت فى محاولة أخيرة لانتهاء الموقف . .

— (ليست معى الآن أية مبالغ نقدية . . البيت فيه أشياء كثيرة . . خذ ما يساوى قيمة أربعمئة جنيه . . وعرضت عليه راديو . . وكاسيت . . وبعض التحف . . لكنه قال بطريقة أذهلتنى وحيرتنى .

— أنا عايز بذلك .

تصورت أنى لم أسمع جيدا . . فعدت أستوضح

— عايز ايه ؟

قال - البديل

قلت - مستحيل . . حتعمل ايه ببدي ؟

قال - مش عايز غير البديل بتاعتك

قلت - خذ أى شىء تافى . . إمامك تحف ثمينة . . اختار منها قيمة المبلغ . . لكنه قال باصران يدعو للدهشة :

— مش حاخرج من هنا بدون البديل . . وإلا حاخليهم ينفذوا الحجز على البيت . . يا البديل بتاعتك . . يا الحجز .

وبطريقة السينما فى استرجاع الماضى (الفلاش باك) تذكرت أيام الرخاء والثراء فى حياتى . . تذكرت الخمسينات . . واسطبل الخيول الذى كنت اقتنى فيه ٣٥ جوادا من أفضل خيول السباق . .

استعادت ذاكرتى الأيام التى كنت أتعامل فيها مع الكبار (فرغلى باشا) و (عبود باشا) . . لم يكن المال هدفا . . بل كان مجرد وسيلة للحياة . . ولكن بعد أن انحسر الاهتمام بهواية (سباق الخيل) . . بدأت أفقد اهتمامى بتربية الخيول . . حتى مدرب الخيول - وهو يهودى من مواليد بولاق - كان يمتلك حصانا واحدا عندما بدأ الاشراف على تدريب الخيول التى كنت أمتلكها . . لكنه أصبح يمتلك اسطبلا مليئا بالخيول . . خيوله هو . . فى الوقت الذى كنت أبيع أنا فيه خيولى . . هكذا الحياة . . وكان ذلك المدرب اليهودى يستوقفنى دائما فى الشوارع ثم يشير نحو حصان يجر عربة

(حنطور) . . أويجر بعض الأحمال الثقيلة .
— أنظر يا أستاذ عماد . . ألا تتذكر ذلك الحصان ؟
أقول - لا طبعاً .

فيقول - أنه حصانك . . كان عندنا في الأسطبل قبل ما تبيعه .
وأنظر الى الحصان الذي يجرى مرهقا متعبا . . والحوذى يلاحقه بالسوط
الذي يهوى على جسده الضعيف . . فاشعر وكأن السوط يهوى على جسدى
أنا . . كان الضربة موجهة الى قلبى . . ما أشبهنى بذلك الحصان . . كان مثلى
يعيش فى رخاء وثناء . . ثم أصبح فجأة يتلقى ضربات السياط . . وأصبحت أنا
اتلقى تلك الاهانة من صاحب السيارة الذى يعتمد إذلالى . . ويطلب ملابسى !
كان مثلى ذلك الحصان - لا يشكو الحاجة أو الحرمان . . فأصبح هزيل الجسد من
قلة الطعام . . وأصبحت أنا قليل الابتسام من قلة المال . . وانعدام الانسانية !

وقابلت شعراوى جمعة

ذات يوم زارنى صديق قادم من بيروت . . قال لى :
— يا أستاذ عماد . . عايزك تسافر معايا بعد يومين . . لأننا محتاجينك فى فيلم
لبنانى .
كان السفر للخارج صعبا فى ذلك الوقت . . ويحتاج الى قرارات . . واستثناءات . .
وأجراءات معقدة . . ماذا أفعل ؟
هل أبقى هكذا بدون عمل ؟ النشاط الفنى حياة الفنان . . بدون أدوار وأفلام . .
بدون فن . . تصبح حياته بلا معنى . كيف يكون التصرف ؟
أنهم يريدوننى فى لبنان . . وأنا هنا بدون عمل . . وغير قادر حتى على السفر . .
والصديق اللبنانى ينتظرنى . . ويريد أن يسافر بعد يومين . . وخطر فى ذهنى
فكرة . . لماذا لا أذهب لمقابلة شعراوى جمعة وزير الداخلية . .
الوحيد فى ذلك الوقت القادر على منح تأشيرات السفر . .
وشجعنى أخى (رعوف) الذى كنت اعتبره دائما واحدا من انقى وأقدر ضباط
الشرطة . .

قال لى رعوف :

— ماذا ستخسر ؟ لا شىء . . اطلب مقابلة وزير الداخلية . . وسنرى
ما يحدث . .
وبالفعل . . فى الموعد المحدد . . كنت أدخل غرفة مكتب وزير الداخلية شعراوى
جمعة . .

قلت - يا سيادة الوزير . . انا في مشكلة . . جالى طلب للعمل في فيلم لبنانى . .
والسفر ممنوع . . ونحن هنا لا نعمل . . وظروفنا المادية صعبة . . أرجو أن
تسمحوا لى بالسفر مع زوجتى . .

ولم يرد شعراوى جمعة . . ولم يعلق بكلمة واحدة . . كانت ملامح وجهه جامدة
بلا تعبير . . غير تعبير الصرامة والعبوس . . قلت لى نفسى ربما كان صمته نوعا من عدم
الرضا والافتناع . . وبهدوء شديد رفع شعراوى جمعة سماعة التليفون وحادث
شخصا آخر . . أعتقد أنه سكرتيره الخاص .
لم يقل غير جملة واحدة . .

— عايز الاستاذ عماد وزوجته يسافروا ودلوقت حالا .
كانت الساعة وقتها الحادية عشرة صباحا . . وصديقى اللبنانى مسافر فى اليوم
التالى مباشرة . . وأنا ليس عندى (جواز سفر) جاهز . . لكن المستحيل حدث . .
وبأسرع مما أتصور . . جواز سفر لى . . وجواز سفر لى زوجتى . . والتصريح
بالسفر . .

كان كل شىء جاهز فى ساعات محدودة . .
وفى صباح اليوم التالى ٢٥ مايو ١٩٦٧ . . كنت وزوجتى ناديه الجندى
نجلس داخل الطائرة المتجهة الى لبنان . .
لكن فى بيروت . . كانت تنتظرنى احداث اشد غرابة !



● (وداعا يا غرامى) مع فاتن حمامة
 ● (الرباط المقدس) مع صباح قصة توفيق الحكيم اخراج محمود
 ذو الفقار





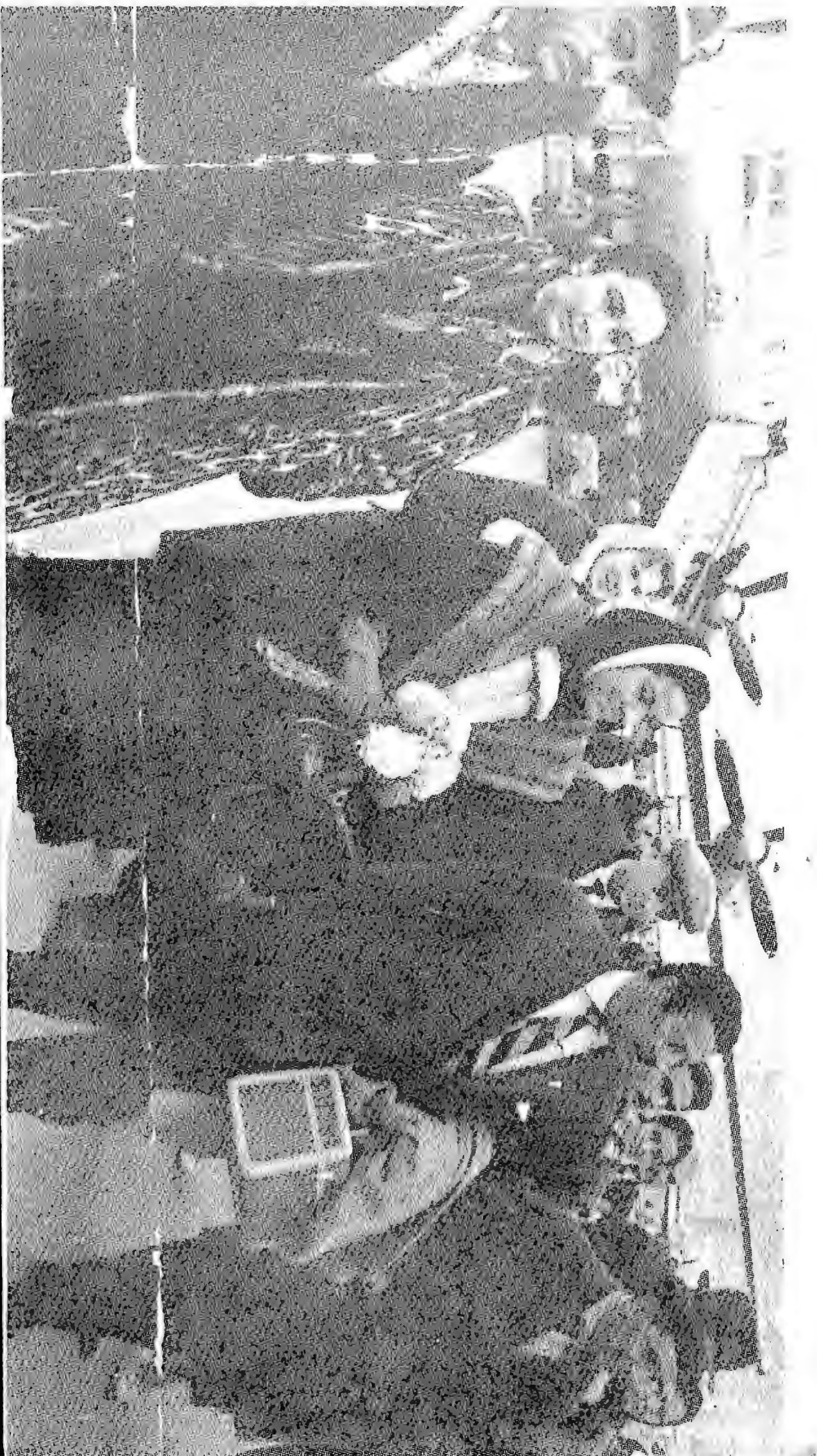
● مع تحية كاريوكا في دور المحامي
● (المال والبنون) مع هدى سلطان . اخراج ابراهيم عمارة





● المنزل رقم ١٣ مع فائق حمامة اخراج كمال الشيخ
● (وفاء إلى الأبد) مع مديحة يسرى التي لعبت معه أهم الأدوار





● مع مديحة يسرى لحظة هبوطها من الطائرة لحضور مهرجان كارلو فيناري



● الزوجة الاولى فتحية شريف ... عضو فرقة الريحاني ... زمان ... واشهر منولوجست



● في قطار الرحمة . تعارف . ثم صداقة . ثم زواج



● اول لقاء داخل البلاطوه . . في فيلم مع شادية . . بعد الطلاق



● اتفقا على الطلاق وكل منهما يحمل للآخر كل ود



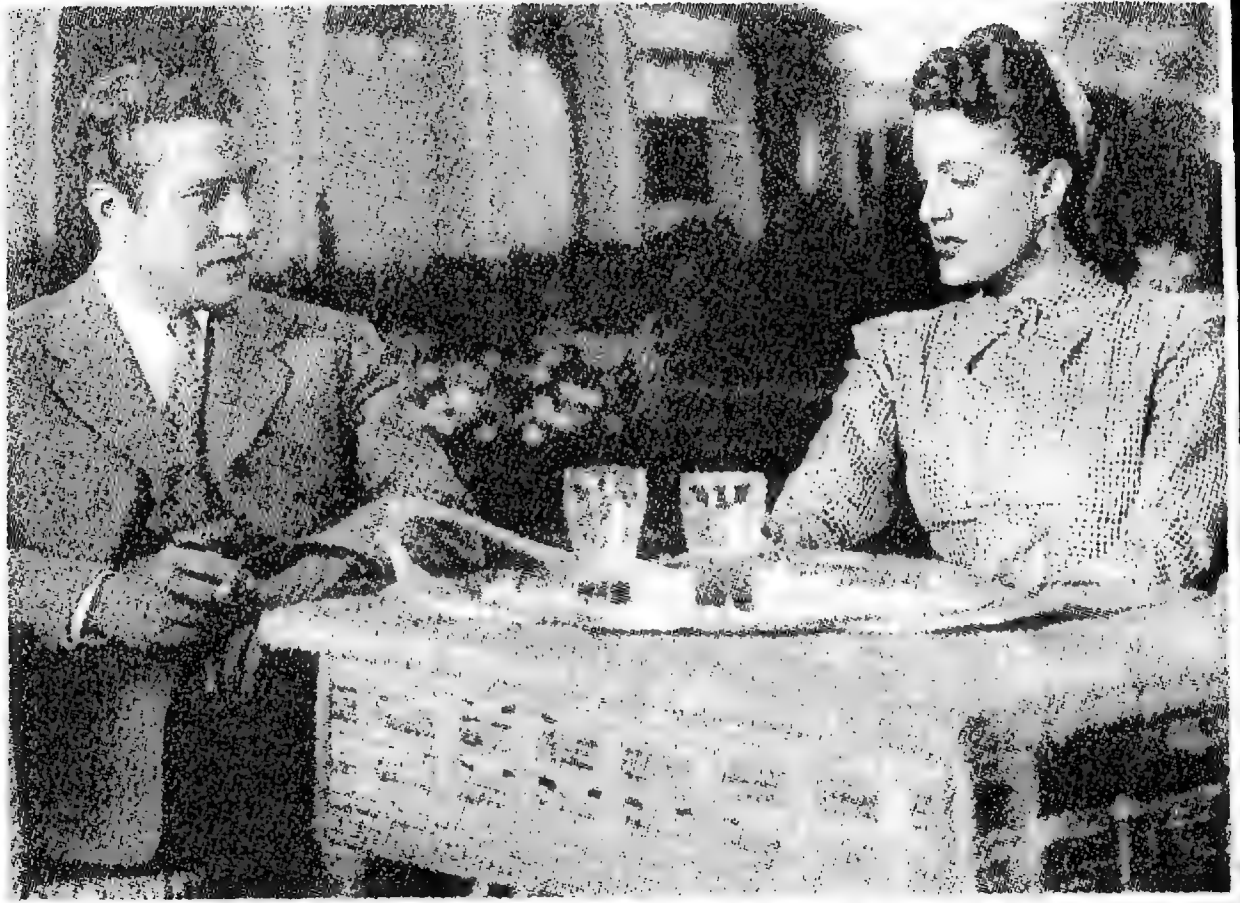
● (رحمة من السماء) مع هند رستم ومحمود المليجي

● (ضحيت غرامى) ● (الله معنا) فى دور البوزباشى
مع ماري كوينى احمد عن حرب فلسطين

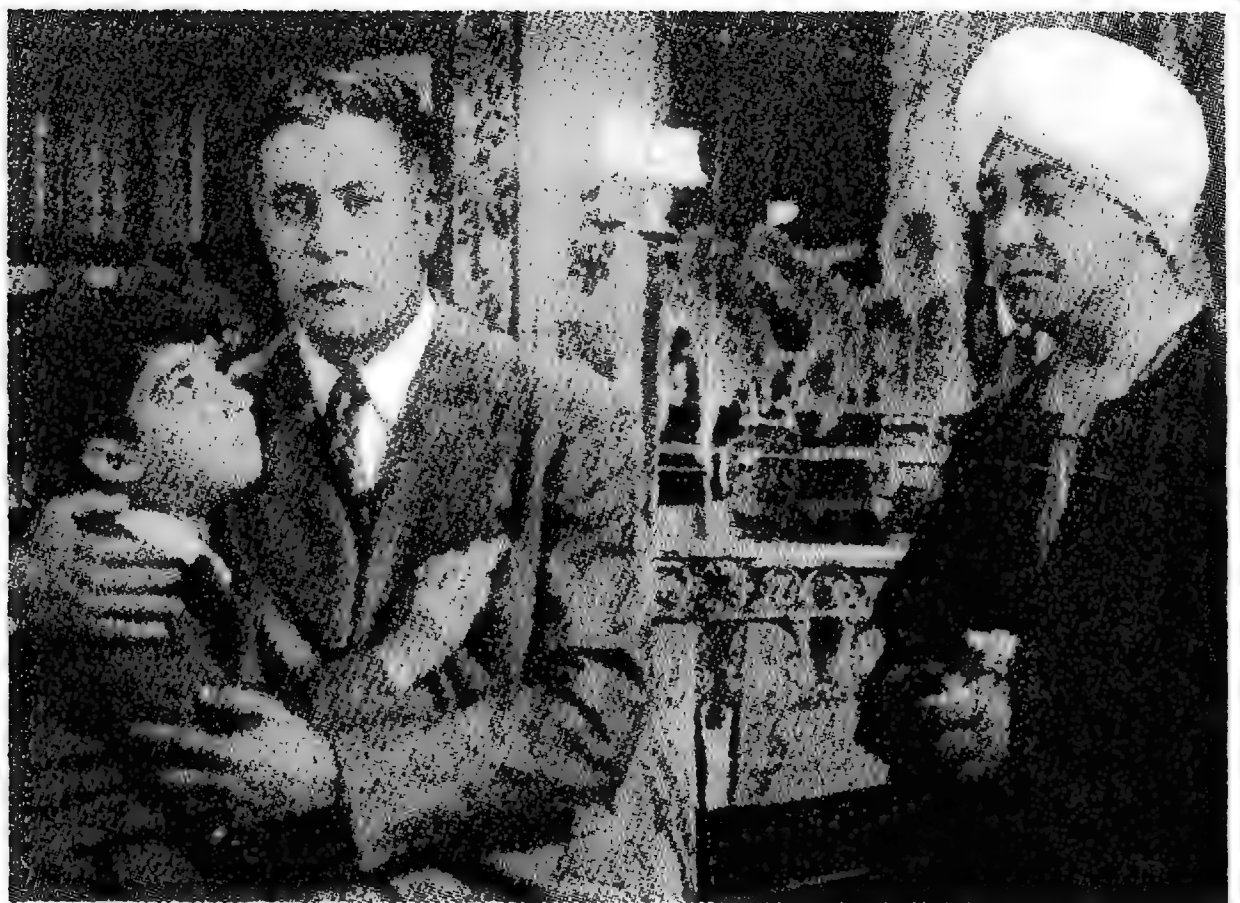




● مع النجمة العالمية ريتا هيوارت في مهرجان برلين



● (السجينة رقم ١٧) مع ماري كويني
 ● (ضحيت غرامي) مع الطفل نادر جلال الذي اصبح مخرجا معروفا





● (رحمه من السماء) مع محمود المليجي . واخراج عباس كامل
● (لن أبكى أبدا) مع نجمة ابراهيم . اخراج حسن الامام





● (ظهور الاسلام) مع كوكا
قصة طه حسين وإخراج
إبراهيم عز الدين



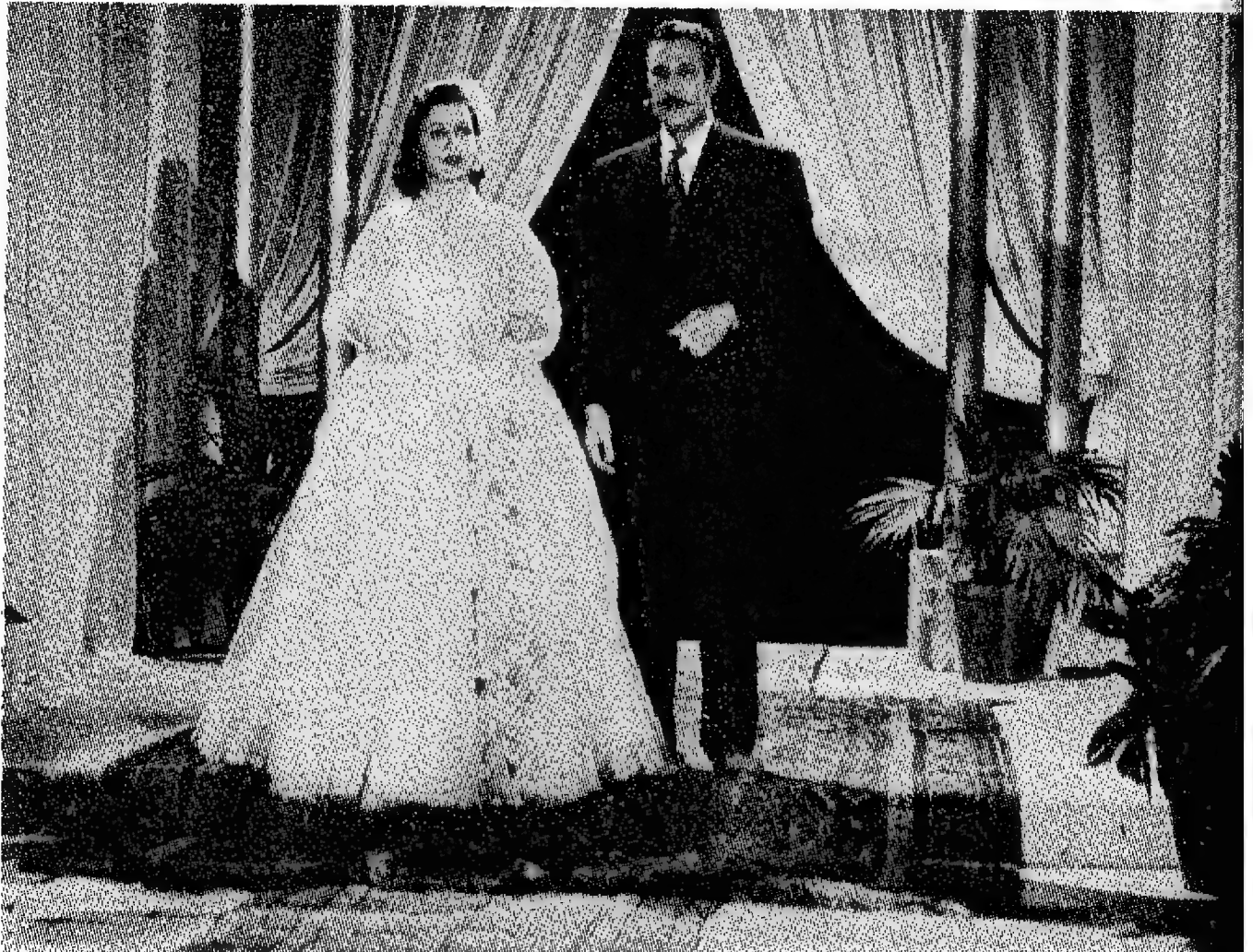


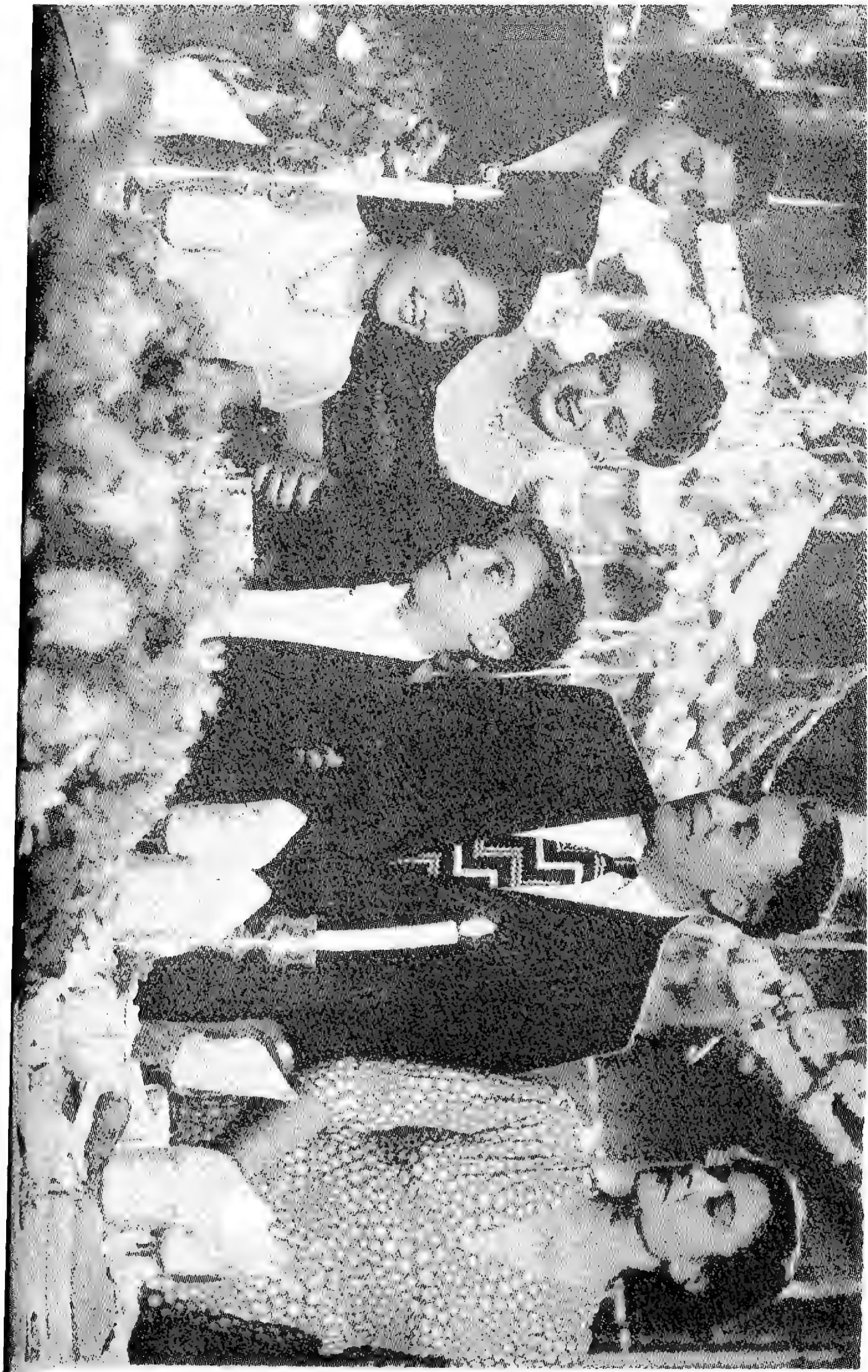
● (قطار الليل) مع سامية جمال اخراج عز الدين ذو الفقار
● (الحرمان) مع روزو ماضي اخراج عاطف سالم





● (وداعا يا غرامی) مع زینب صدقی وزکی ابراهیم







● (الخرساء) مع سميرة أحمد اخراج حسن الامام
● (رابعة العدوية) مع نبيلة عبيد اخراج نيازي مصطفى





● هواية الصيد ... تعلمها من شادية ثم دفن همومه فيها بعد أن انفصل عنها



● (تاليف) مع سعد حسني قصة يوسف السباعي إخراج احمد بدرخان



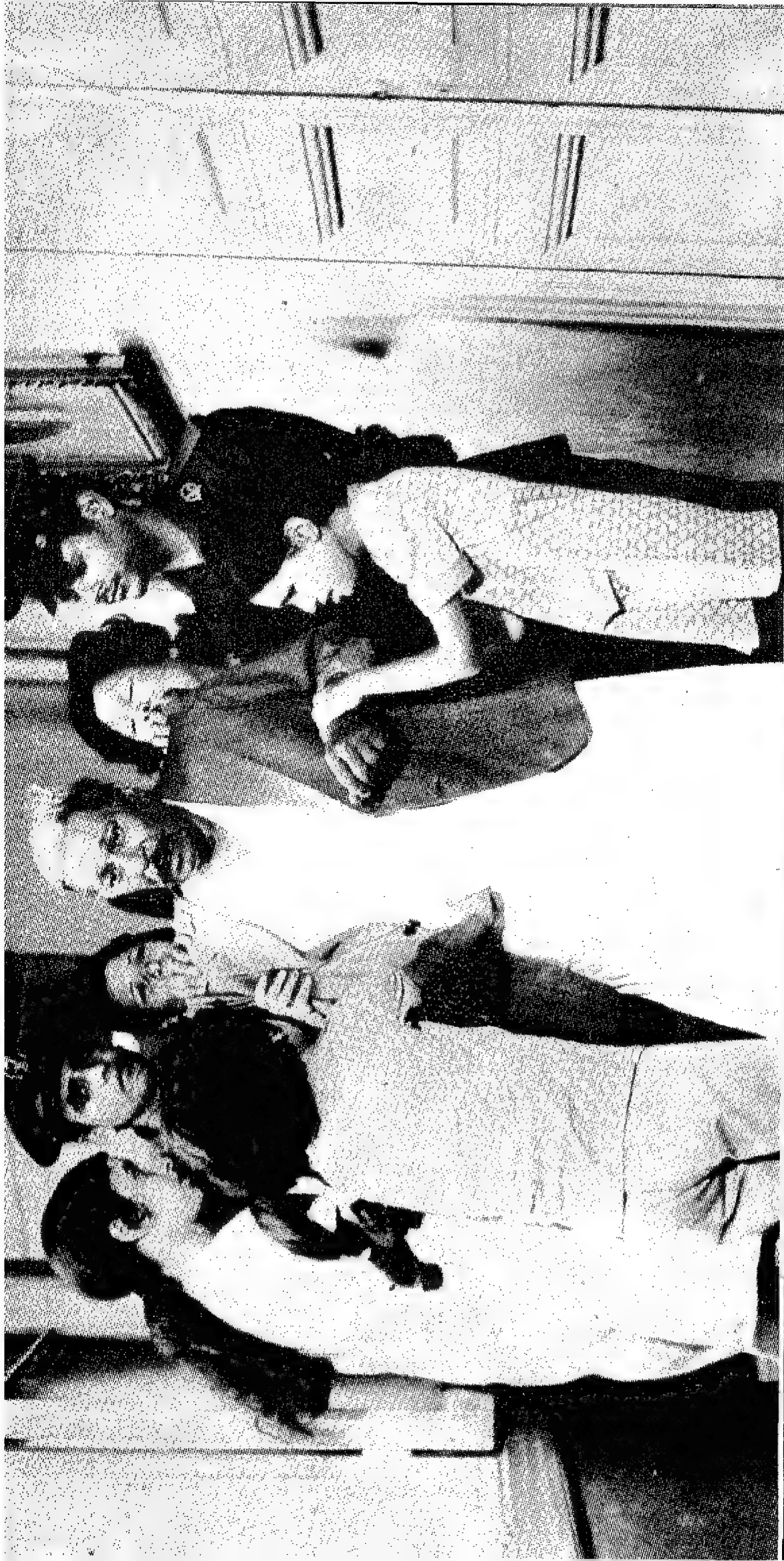
● عماد حمدي بين نادية الجندی وزوجها محمد مختار المناسبة عيد ميلاد نادية الجندی





- مع الزوجة الثالثة . نادية الجندي . في بداية حياتهما الزوجية
- مع توأمه الدبلوماسي عبد الرحمن . لا تستطيع أن تفرق من منهما عماد ومن عبد الرحمن !





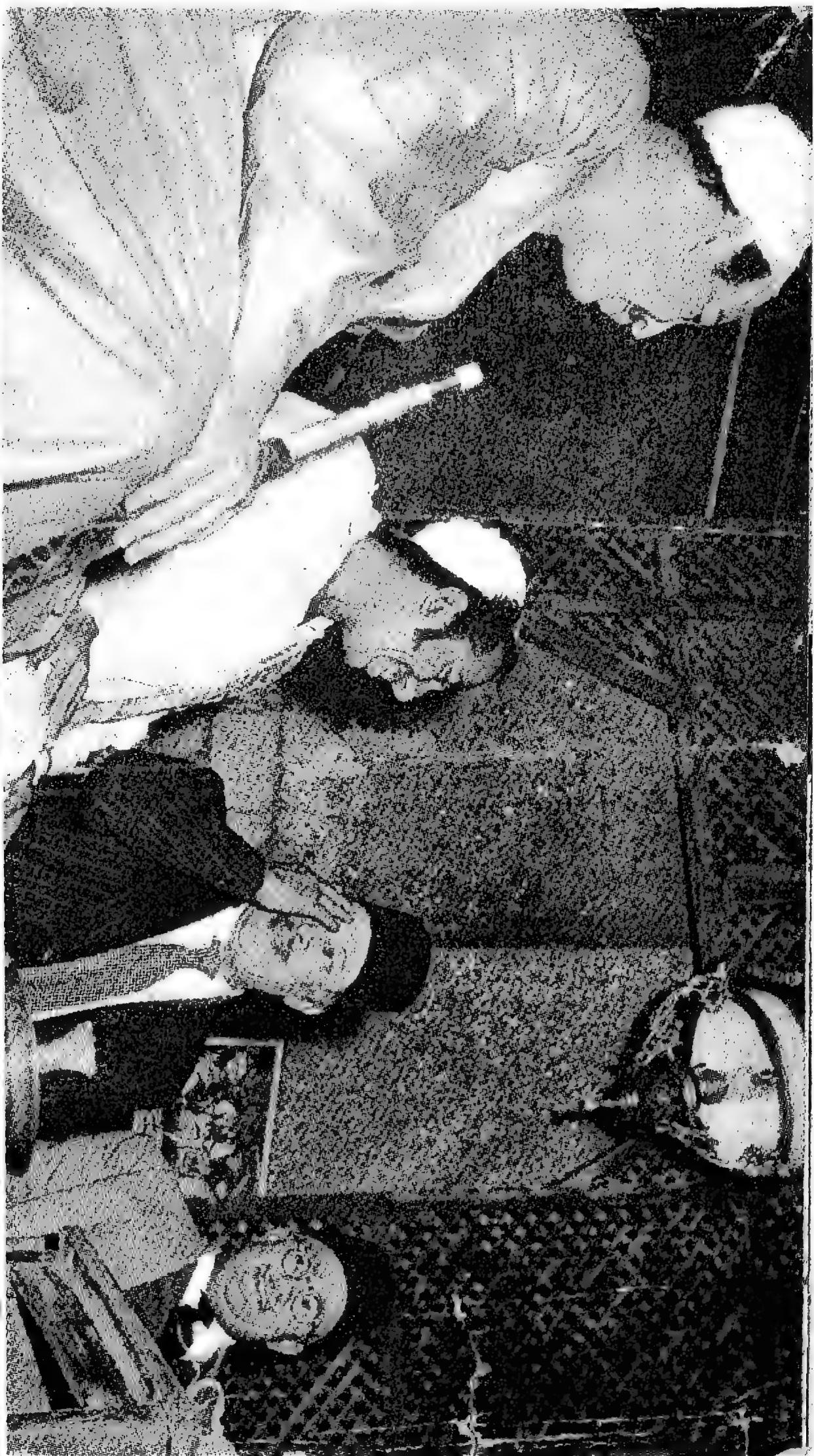
● (المتنبون) في دور فاخر المدرسة الطيب عفيف النفس لكن الظروف الصعبة تدفعه إلى الهاوية دور حصل به على جائزة احسن ممثل في مهرجان القاهرة الدولي عام ١٩٧٧



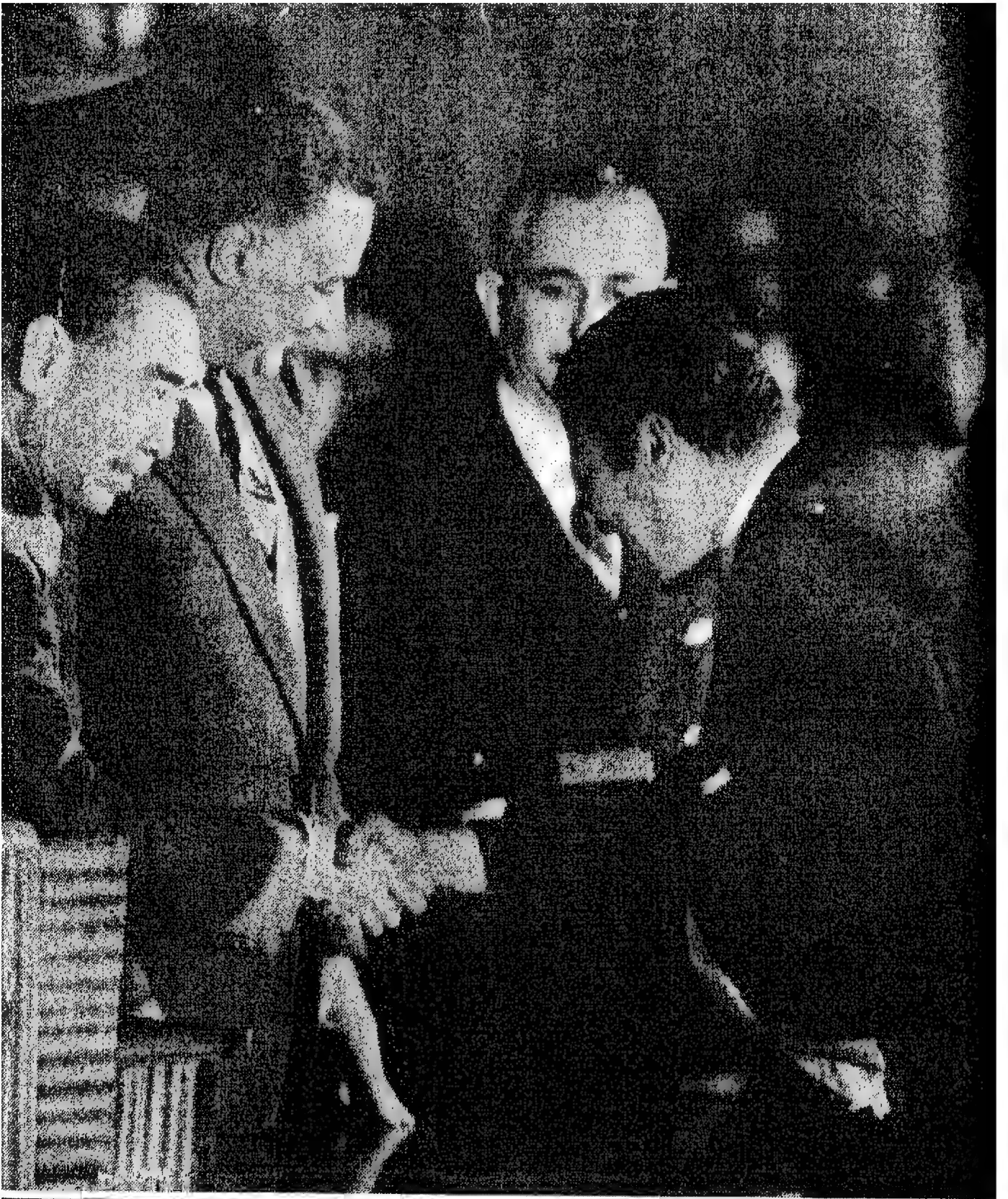
● (اسيلد وعبيد) الموسيقي المشغول الذي لم يتكلم طوال الفيلم وهو جالس على كرسي متحرك .



● (سونيا والمجنون) في دور ممثل ابتعدت عنه حوله الاضواء . فيغرق
همومه في شرب الخمر



● (خان الخليل) ودور البطولة في مسرحية نجيب محفوظ الخالدة



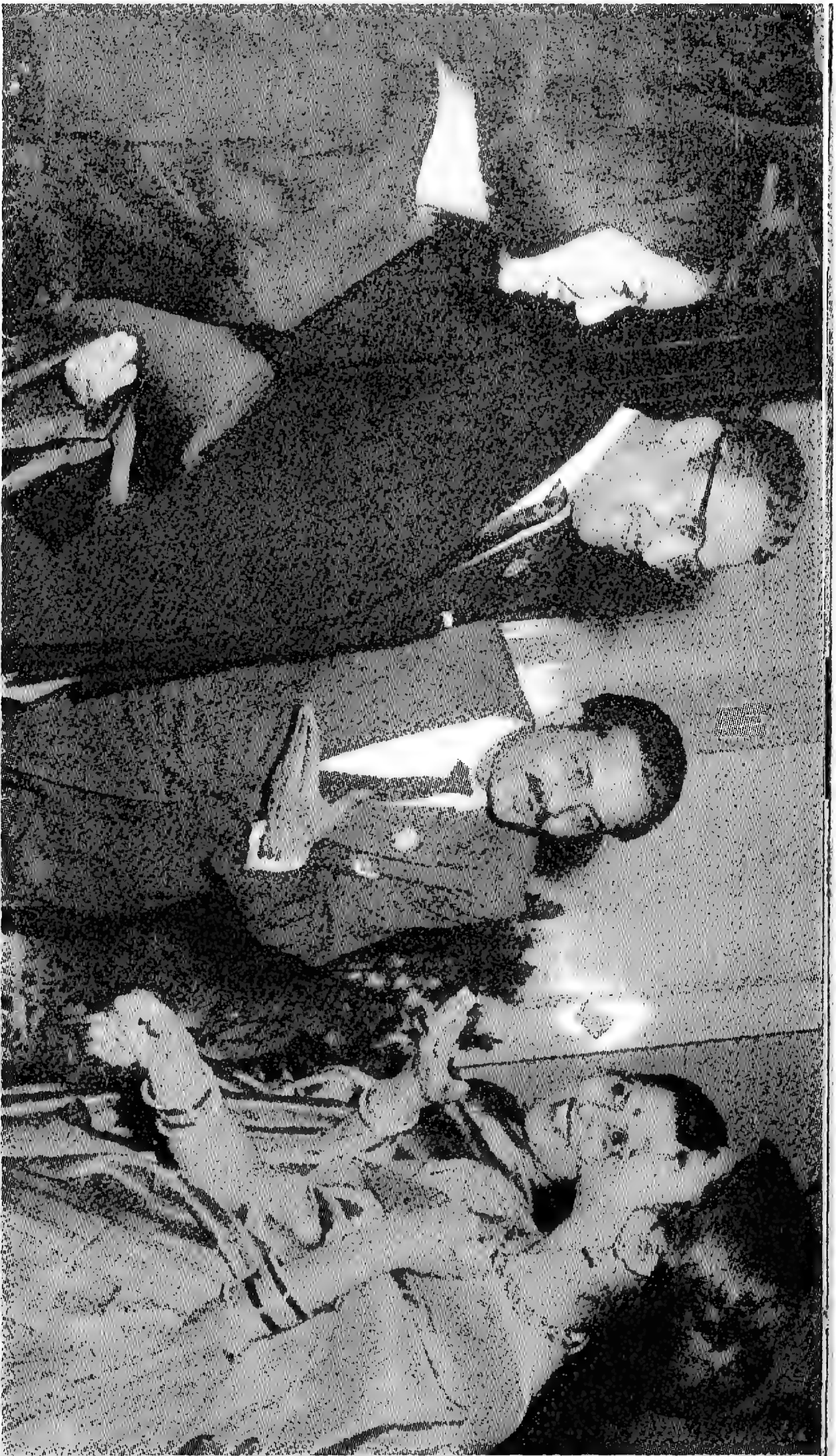
● يصافح الزعيم الراحل جمال عبد الناصر حين قلده وسام القنون في عيد العلم



● يصافح الرئيس الراحل أنور السادات حيث سلمه جائزة تقديرية في عيد
الفن



● (السلال) يصادفه مهنتاً عن دوره في فيلم (ثورة اليمن)



● في مهرجان نيودلهي مع سيرة احمد حيث عرض لهما فيلم (ام العروسة)



● الأوسمة التي حصل عليها في أحد أركان المنزل
● لقاء الأجيال لقاء ودي بين عماد حمدي وعادل امام





خسرت كل شيء . . . من أجل « بمبه كشر » !

ها هي بيروت اخيرا .

بيروت ٢٥ مايو ١٩٦٧ . . بيروت الجميلة . . بيروت الحياقوالفن
والجبل . . والسهر . . والاصدقاء . . والصخب . . وراحة النفس
والاعصاب . . وعثر لنا الصديق اللبناني على شقة مريحة اقمنا فيها . . واعطاني
(عربون) قدرة خمسة الاف ليره لبنانية . . ولكن بعد ايام اختفى ذلك الصديق
اللبناني . . سألت عنه في اماكن تواجدته . . واخيرا عرفت انه سافر بعيدا عن
لبنان . . لماذا لم يخبرني ؟ ولكي اطمئن نفسي قلت ربما سفر طارىء ومفاجيء . .
وحتما سيعود .

بعد يوم او يومين اتصل بي المنتج (طنوس فرنجيه) قال نحن على استعداد
لعمل فيلم سينمائي جديد . . ووجودك هنا . . ووجود مجموعة اخرى من
الفنانين المصريين في بيروت فرصه لكى نستفيد بطاقتكم الفنية . . هل عندك
مانع ؟

قلت لا . . المهم ان يكون العمل السينمائي معقولا . . وفهمت منه ان الفنانة
سميرة احمد ومحمد سلمان مرشحان للعمل في نفس الفيلم . . وعرفت ايضا ان
منتج ذلك الفيلم (امير سعودى)

وفي اليوم التالى كان لقاء مع محمد سلمان الذى قال لى . . سنبدأ بعد ستة ايام
تصوير الفيلم الذى سيموله (سمو الأمير) ولم يكن كلامه مجرد وعد عابر . . بل
اعطاني (عربونا) . . واعطى ناديه الجندى ايضا (عربونا) . . مقابل
اشتراكنا في بطولة ذلك الفيلم المنتظر . .

وبدانا ننتهي نفسيا للعمل . . ومر اليوم الاول من شهر يونيو . . ثم اليوم
الثانى . . والثالث . . والرابع . . ولم يعد باقيا سوى يومين فقط نبدا بعدهما
تصوير الفيلم الذى ينتجه (سمو الأمير السعودى) . .

ولكن ذات صباح استيقظت فجأة من نومي على دقات على باب الشقة . . دقات قوية لحوجه . . عصبية . . من ذلك المزعج الذى يدق بابنا في ذلك الوقت المبكر ؟
وفتحت الباب . . ووجدت امامى بائع الصحف . . وقبل ان الومه على ذلك
الاذعاج غير المبرر . . قال بصوت مرتعش :

— استاذ . . استاذ . . انت نايم ومش دريان . .

— قلت مندهشا - دريان بايه ؟

— قال - بالنكسه .

— قلت نكسه ايه ؟

— قال - الى حصلت في بلدكم . . في مصر . .

وطار النوم من عيني . . حاولت ان اتماسك . . لكن ما سمعته من بائع الصحف
كان حقيقة عرفتھا كل الدنيا . .

شعور معذب ذلك اليوم الذى يلزم الانسان عندما يشعر بأن بلده في خطر . . في
محنه . . وهو بعيد لا يستطيع ان يفعل شيئا . . شعور العاجز الذى يكتفى بقراءة
وسماع الاخبار المؤسفة . . ويتوجيه الدعوات المخلصة - لعل الله ينقذ مصر العزيزة
من كل شر ومكروه .

فجاء تحولت بيروت الجميلة الى مصيده . . الى غرفة انتظار لا يستطيع ان
اغادرھا . . وقد تأثرت الحياة في لبنان بما حدث في مصر . . وبدأنا نشعر بالآثار
المرتبطة على نكسة عام ١٩٦٧ . . فقد صدر قرار بأنه ليس مسموحا لأى لبنانى بأن
ينفق كل يوم سوى مبلغ محدد . . وليس كما كان يحدث من قبل . . ولبنان بلد
البنوك . . والتعامل بالشيكات . لكن التعامل مع البنوك . . والحياة الاقتصادية كلها
بدأت تتأثر بما حدث في مصر . . الاتفاق لم يعد كما كان . . وحتى اصدار الشيكات
فقد قيمته . . لأن السيولة النقدية تأثرت . . الاموال مكده في البنوك . . لكن
خروجها من البنوك لم يعد سهلا وفجأة شعرت بأننى اصبحت من الاثرياء . . من كبار
الاغنياء في بيروت . . اصبحت اغنى من (الأمير السعودى) نفسه منتج الفيلم . . انه
يمتلك اموالا طائلة في بنوك لبنان لكنه غير قادر على اخراج تلك الاموال من البنوك بسبب
الظروف المفاجئة التى حدثت بعد النكسة التى حدثت في مصر . . بينما انا امالك وحدى
الوف الليرات في جيبى عربون فيلمين . . كنت انفق بحذر . . لانى ارى امامى الاثرياء
يستدينون . . ولا احد يعرف متى ستنتهى تلك الظروف الاستثنائية التى جعلت
الجميع غير قادرين على مغادرة بيروت . . وغير قادرين ايضا على صرف اموالهم من
البنوك . . وزاد من تعقيد الامور فرض حظر التجول . . وهل لبيروت معنى بدون
تجول . . بدون حركة . . بدون لقاءات . . وزيارات . . ؟

التجول أصبح ممنوعا بعد المساء . . وأصبح مفروضا علينا ان نبقي في اماكن
اقامتنا ولا نغادرها بعد السادسة مساء . .

كان في بيروت في تلك الظروف غير الطبيعية مجموعة كبيرة من الفنانين
المصريين . . الموسيقار محمد عبد الوهاب . . وفريد الاطرش . . وسميرة
احمد . . ومريم فخر الدين . . وفؤاد المهندس . . والمخرج حسن الامام . . على
ما اذكر وربما كان الموسيقار محمد عبد الوهاب اشدنا انزعاجا . . لدرجة انه غير
مكان نومه من غرفة تطل على الشارع إلى غرفة في الداخل . . لعدم الشعور
بالامان . . وهو شعور كان يلزمننا جميعا . . وان كنا نحاول جاهدين ان نخفيه
ونداريه بتواجدنا معا في مكان واحد . . نتبادل فيه الكلام والذكريات . .
والامنيات السعيدة باقتراب انتهاء تلك الظروف غير العادية . .

وكنا عادة ما نلتقى في المكان الذي كنت اقيم فيه . . ويستمر ذلك الاجتماع الليلي
ابتداء من السادسة مساء موعد بدء حظر التجول . . حتى مطلع الصباح . . موعد
انتهاء حظر التجول . . وبعد ايام واسابيع عصبية بدأت تهدأ الاحوال . . وتعود
الاضاع الى طبيعتها وانتهينا من تصوير الفيلم الذي نسيت اسمه . . كل ما اذكره
عنه انه فيلم لبناني شاركني في بطولته فنانتان مصريتان سميرة احمد ونادية
الجندي . . بالاضافة الى ممثلتين لبنانيتين . . وعدنا الى مصر عن طريق البحر . .

لمنة راسبوتين . .

لكن علاقتي بلبنان لم تنته عند ذلك الحد . . فقد عدت من جديد الى بيروت . . ولكن
في ظروف اخرى . . وفي الفترة التي كان فيها الاديّب يوسف السباعي وزيرا للثقافة . .
اعاد الفنان الكبير يوسف وهبي تكوين فرقة المسرحية التي قامت بجولة في اكثر من
دولة عربية . . وقضينا في لبنان اسبوعا . . ثم ذهبنا الى الاردن . . ومن بين المسرحيات
التي عرضناها خلال تلك الجولة مسرحية (راسبوتين) . . التمثيل المسرحي
متع . . خاصة إلى جانب يوسف وهبي . . وفي بداية الستينات عندما عرض على
السيد بدير فكرة الظهور على المسرح . . لم اتردد ابدا . . وافقت . . وعملت على
مسارح التليفزيون في مسرحية (خان الخليل) التي اخرجها حسين كمال . . كنت
سعيدا بتلك الجولة المسرحية لسببين - انها أولا مع واحد من اهم فناني المسرح
العربي (يوسف وهبي) ولأنها ثانيا ستجعلني اتعرف عن قرب على جمهور المسرح في
البلاد العربية . . وهو جمهور مختلف طبعا عن جمهور السينما الذي تعودت ان اتعامل
معه دون ان اراه . . ودون أن احثك به مباشرة . . ودون أن القاه وجها لوجه . . وهذه

هى ميزة التمثيل المسرحى . . الاحتكاك المباشر . . وسماع رأى الجمهور ومعرفة احساسه . . قبوله ورضاه . . او عدم قبوله وعدم رضاه . . دقيقة بدقيقة . . لحظة بلحظة . . وتحولت تجربة عملى مع فرقة يوسف وهبى . . ومع راسبوتين بالذات . . تحولت الى ذكرى لا تمحوها الأيام من ذاكرتى مهما تقدم بى العمر . . أصبحت كلما تذكرت (راسبوتين) اتحسس عظامى . . واتذكر الامى . . حدث ونحن نقدم آخر ليلة عرضا من مسرحية (راسبوتين) فى الاردن . . ان وقعت الواقعة . . وكادت (لعنة راسبوتين) ان تقضى على . . كان المفروض ان اؤدى دور خادم راسبوتين . . والمفروض انه يمسك بخادمه فى المسرحية ويلقيه بقوة على الأرض . . ويبدو ان طريقة امساكى ودفعى نحو الأرض . . كانت قوية اكثر من اللازم لدرجة انها كسرت لى ضلعين كانا مكسورين مرة سابقة . . فأصبحت ألامى مضاعفة . . وشعرت ونحن نغادر الاردن انى اكاد أموت من الألم بسبب (راسبوتين) . . وكانت محطتنا بعد ذلك (الكويت) . . ومن شدة الألم لم اشعر بهم وهو ينقلونى إلى المستشفى . . لكن الذى اذكره ان الذى فحصنى كان طبيبا مصريا واكتشفت طبعا انى اعانى من كسور مضاعفة . . كسور قديمة تجددت بفضل (راسبوتين) سمعت مرة ان المشاكل قد لاحقت بعض الممثلين العاملين فى فيلم كان يتم اعداده عن حياة راسبوتين المليئة بالأحداث . . والغرائب . . والخوارق ومن كثرة تلك المتاعب اليومية قالوا انها لعنة راسبوتين . . وكأنها لعنة الفراعنة التى مازالت تطارد البعض . . لكن ماذنبى انا ؟ هل ذنبى انى قبلت ان اعمل خادما للسيد راسبوتين فى المسرحية التى تحمل اسمه ؟ أه يا راسبوتين . . من الألم الذى كان يعذبنى فى ذلك الوقت . . الام تجعل راسبوتين شخصا ينتفض من مثواه الأخير بعد كل تلك السنين التى مرت على رحيله . .

كانوا قد وضعونى داخل لفافات محكمه خوفا من الحركة التى قد تزيد الام الكسور . . وبدأت اضيق بتلك اللفافات المحكمة التى حاصرت جسمى . . شعرت بانها قيود تكبلنى . . تكاد تزهق روحى . . شئ فظيع ان يبقى المرء هكذا مقيدا . . وغير قادر على الحركة . . او على عمل اى شئ . . ولفترة طويلة ! لكنى بدأت استسلم لظروف المرض الصعبة . . لتلك النهاية غير السعيدة لرحلتنا المسرحية . . فى الافلام نمثل ونصور النهايات السعيدة دائما . . بعودة الاحياء . . وانتصار الخير وبالسعادة . . والامل . . والابتسامات . . وفى الواقع بعيدا عن الشاشة لا نرى غير النهايات غير السعيدة . .

لكن الحق يقال . . ان الخدمة فى مستشفيات الكويت جيدة جدا . . العناية . . والرعاية . . والأجهزة الطبية الحديثة . . ومستوى الاطباء . .

وشاعت الظروف ان تكون نهاية الامل على يد ذلك الطبيب المصرى الذى لا انسى
ماقدمه لى . . اعطانى حقنه ساعدت على التئام الجروح بسرعة مدهشة . . وقال لى
اتفضل . .

قلت - على فين ؟

قال وهو يبتسم - اتفضل مع السلامة . .

ونزعت اللغائف من على جسدى . . ووجدتنى اتحرك بسهولة . . وبدون
الم . . وشكرت الطبيب صاحب الحقنة السحرية التى انستنى مافعله بى
راسبوتين .

وانتهت علاقتى بنادية الجندى

عدت افكر فى الانتاج السينمائى . . كنت قد انتجت فيلمين لشادية (شاطيء
الذكريات) و (ليلة من عمرى) . . ليس غريبا ان يفكر الزوج فى انتاج فيلم
لزوجته . . ما المانع ؟ اذا كانت زوجته ممثلة اختارت فن التمثيل حياة ومستقبلا . .
وهكذا بدأت استعداد لانتاج فيلم « بمبه كشر » لزوجتى نادية الجندى . . فيلم
استعراضى غنائى من اخراج حسن الامام يتطلب نفقات غير عادية . . مجاميع . .
راقصات . . مغنيات . . استعراضات . . وملابس وديكورات تختلف عن ملابس
وديكورات الافلام العادية . .

ولم ابخل بشيء . . كنت اريده فيلما استعراضيا ناجحا . . وحتى اتحاشى متاعب
الضرائب كتبت الفيلم باسمها . . لقد بلغت تكاليف انتاج فيلم « بمبه كشر » أكثر من
خمسین الف جنية - حاليا اذا انتج مثل هذا الفيلم يتكلف أكثر من ٢٠٠ الف جنية -
وأصبح معروفا انه من انتاج نادية الجندى . . كان اتفاقنا ان تأخذ هى نسبة معينة
من الايرادات . . المفروض ان الثقة موجودة فى اتفاقات الأزواج . . هل من الضرورى
ان يكتب الزوج اوراقا ويحضر شهودا . . كان اتفاقا بين زوج وزوجته لا يحتاج لكل
تلك الاجراءات التى تتخذ عادة ما بين الغرباء . . وبدأ عرض فيلم « بمبه كشر » . .
وحقق نجاحا كبيرا . . واستمر عرضه لاسبوع عديده . . وحقق ايرادات معقولة ان
فيلم بمبه كشر هو الذى قدم نادية الجندى للناس كبطلة . . وبطلة للفيلم الاستعراضى
تجيد الرقص والغناء والتمثيل . .

ورغم ان ذلك هو الذى صنع اسمها ودفعها فى طريق الفن خطوات واسعه . . رغم
ذلك كله لم آخذ مليما من ايرادات الفيلم الذى انتجته باسم زوجتى . . وارىدت أن
اتحاشى متاعب الضرائب . . فخصرت كل شيء !

وصدقوني . . لم أحزن بسبب خسارة المال . . فالمفروض ان يضحي الزوج من اجل زوجته . . ان يفعل ما يريحتها . وما يساعدها على تحقيق النجاح الذى تريده . . لم اكن نادما على ما انفقته طالما ان الفيلم قد نجح وحقق الهدف . . وطالما انى قدمت خدمه لزوجتى التى اخترتها اثناء عملى فى فيلم (زوجة من الشارع) . . ولكن تجربة انتاج فيلم (بمبه كشر) تركت فى نفسى أثارا لا يمكن ابدا ازالتها !

وهناك تفاصيل اخرى لا احب ان اخوض فيها . . لكن كل تلك الظروف بالاضافة الى الفارق الكبير فى العمر . . جعلت الخلافات تنشأ بينى وبين نادية الجندى . . معروف انى عشت معها اطول فترة زواج . . ثلاثة عشر عاما . . لكن الحقيقة ان الاستمرارية لم تكن موجوده . . لقد انتهى العمر الافتراضى لحياتنا الزوجية قبل ذلك بكثير . . والانسان يظل يتحمل . . ويتحمل . . حتى تأتى لحظة معينة يصبح فيها غير قادر على التحمل . . او الانتظار . . اخذت حقيبة وضعت فيها بعض ملابسى . . ثم تركت بيت الزوجية . . وعند منتصف الليل كنت أدق جرس باب بيت أخى الذى نظر الى منزعا .

— آيه يا عماد فيه حاجه ؟

قلت بوجوم : لا . . مفيش حاجة .

كنت احاول ان ابدو هادئا . . لكن اخى . . توامى . . الذى هو جزء من كيانى . . فهمنى دون ان اتكلم شعر بانى لا ارجب فى الكلام . . فاحترم صمتى لم يشأ ان يزيد من الامى . . فلم يطلب اية تفاصيل . . وانشغل بترتيب المكان الذى سانام فيه . . لانى لم اكن قادرا على شىء . . كنت اشعر بارهاق شديد . . ونمت نوما عميقا . . وكانى لم اتم من شهور طويلة . . وبقيت فى بيت اخى ستة ايام متواصلة . . ثم ذهبت الى الماذون القريب من البيت فى حى الزمالك . . واتعمت اجراءات الانفصال . . ووصلتها ورقة الطلاق . . لم اندم على شىء . . لا على الانتاج السينمائى الذى كلفنى الالوف . . ولا على شقة الزمالك . . شقة تمليك كانت فى الاصل شقتين حولتها الى شقة واحدة من تسع غرف . . لا يقل ثمنها حسب اسعار الثمانينات لا يقل عن ربع مليون جنية . . كتبته ايضا باسمها لكنى لم اكن نادما . . المال يجىء ويذهب . . واذا اكتشف الانسان فى حياته خطأ ما لماذا لا يصححه ؟

اذا اكتشف ان حياته الزوجية لم تحقق له الاستقرار الذى كان يريده . . فلماذا يتمادى فى تعذيب نفسه . . وتعذيب من يعيشون حوله ؟ لماذا الاستمرار ؟ هل هو حب فى تعذيب النفس ؟ حب للالم ؟

خسرت المال . . وكسبت نفسي

ان راحة البال تساوى كل اموال الدنيا . . كنت اريد فقط راحة البال . . الحياة الزوجية الفاشلة قد تدفع بعض الازواج الى الجنون . . او الى الانتحار . . لكنى والحمد لله خرجت من تلك التجربة سليم العقل . . ولم افكر ابدا في القاء نفسي في اقرب نافذه !

راحة البال هى الكنز الذى لانكتشفه في الوقت المناسب . . اعظم شيء ان ينام المرء كل ليلة مرتاح البال . . الارق اسوأ صديق . . وعندما يلازمنا الارق . . عندما يقيم الارق في غرف نومنا . . تصبح الحياة عذابا لا يطاق . . ما أهمية ان يكون الانسان صاحب ملايين . . وهو يتقلب كل ليلة في فراشة . . وكأنه يتقلب على الجمر . . على النار . . ؟

خرجت خالى الوفاض . . وكأنى أبدا حيايتى من جديد . . لكن لا يهم . . الطعام والشراب ليسا مشكلة المهم راحة البال . . والله كريم . . قادر على كل شيء . . لقد كنت حسن النية . . حتى في الاخطاء التى وقعت فيها . . فليذهب كل شيء . . وليبق فقط شعورى بالرضا عن نفسي . .

سيقول عنى الناس اننى (رجل مزواج) . . لكن هذا القول يظلمنى كثيرا . . ومن الذى يحب الطلاق ؟ ومن الذى لا يتمنى ان يعيش تجربة زوجية واحدة مستقره سعيده ؟ لكن لكل انسان ظروفه . .

لسنا اول اثنين في العالم تنتهى حياتهما الزوجية بالطلاق . . ولن نكون آخر اثنين يفعلان ذلك . . والافضل لنا ولابننا ان نفصل بهدوء وبدون ازعاجات لامبرر لها . . المهم الا نكون سببا في اصابة الولد بعقده نفسيه . . والا يتحمل هو نتائج اخطائنا . . نريد ان نفترق اصدقاء دعيه يعيش معك . . لا اريد ان احرمه منك . . فهو وحيدك . . وانا اعلم انك لاتستطيعين ان تعيشى بدونه . اننى استطيع ان ازوره باستمرار في المدرسة . . المهم الا نشعره بأى نقص او حرمان . . وكانت عاقلة في تلك اللحظات . . ولاول مرة اراها تفضل العقل على العاطفة

عندما انفصلت عن شادية ظلت الصحف والمجلات تكتب لفترة طويلة . . وكان انفصالنا حدث هام . . يستحق الكلام والتعليقات . . والقاويلات والتفسيرات . . لماذا وقع الانفصال ؟

وهل هناك احتمال للتفاهم . . وللعودة ؟ وما هو دور اولاد الحلال من الوسطاء والاصدقاء ؟

كان انفصالي عن شادية اشبه بالمفاجأة غير السارة التى صدمت اغلب الناس . .
حتى الناس العاديين من خارج الوسط الفنى . . اناس لا اعرفهم معرفة شخصية كنت
القاهم فى الاماكن العامة فيسألوننى بحب ومودة . . (امتى ترجعوا لبعض يا استاذ
عماد) .

لكن عندما حدث انفصالى عن نادى الجندى لم تكتب الصحف اكثر من خبر موجز
عن واقعه الانفصال . . وكأن أحدا لم يندهش لما حدث . . وكأن تلك النهاية كانت
منتظرة ومتوقعة . . لم تكن هناك مفاجأة . . أو صدمة أو استغراب . . أو حتى مجرد
سؤال لماذا حدث الانفصال ؟

وهكذا عشت تجربة الزواج ثلاث مرات . . المرة الأولى مع المنولوجست المعروفة
فتحية شريف عام ١٩٤٦ . . والمرة الثانية مع شادية عام ١٩٥٣ . . والمرة الثالثة مع
نادية الجندى عام ١٩٦١ . . وارجوكم لا تظلمونى مرة اخرى قائلين انى (رجل
مزواج) . . فكم كنت اتمنى ان اعيش تجربة زواج واحد مستقره . . لكن فارق العمر
كان مسئولا عن الفشل الذى اصاب زيجتين منهما . .

الفارق الكبير فى العمر يجعل الزوجين منفصلين متباعدين . . ليس بينهما
تفاهم أو اقتراب . . ليس بينهما اسلوب واحد للتفكير . . لغة مشتركة . . يصبح كل
منهما جزيرة معزولة . . ويصبح التلاقى مستحيلا صعب التحقيق .

ويا ابنائى الشبان الراغبين فى الزواج . . خذوها نصيحة مخلصه من زوج
سابق مجرب لاقتزوج يابنى من تصغرك بعشرين عاما . . لانك ستتزوج الارق . .
والخلافات . . ستتزوج الهموم والمقاعب . . وسيصبح هدفك الوحيد . . ان
تتحرر من القيود . . ان تكون طليقا . . حرا . . مرتاح البال والضمير . . حتى لو
خسرت كل اموالك التى جمعتها بعرق الأيام . . وسهر الليالى . . وتعب السنين ا

وقبلت أخى قبلة الموت !

عدت لحياة الوحدة من جديد . .

حياة ليست غريبة عنى . . ولست غريبا عنها . . بقيت خمسة اعوام وحيدا بعد انفصالى عن شادية . . قضيت منها عاما كاملا فى فندق . . وحياة الفنادق لفترات طويلة تصيب المرء بحالة اكتئاب . . الفنادق للزيارات السريعة والاقامة القصيرة . . نوع من التغيير يحتاجه البعض احيانا . . يعودون بعده إلى حياتهم العادية داخل بيوتهم . . ووسط اولادهم . . ومهما كانت الفنادق فخمة . . وانيقة . . وحديثة . . فأننا لانجد فيها أبدا دفء العواطف الاسرية . . ومهما كان البيت متواضعا . . فانه يظل دائما منبع الدفء الذى لا يجف أبدا . . لكنى خسرت بيتى الذى انفقت على تأثيثه وتجهيزه كل ما أملك من مال . . وكسبت ما هو أهم وأبقى . . كسبت راحتى . . وحريتى . . هذه المرة بعد انفصالى عن نادية الجندى لم اكن فى حاجة الى الهروب والانزواء بعيدا عن عيون الآخرين . . وعادة حينما يمر الانسان بمحنة قاسية فانه يحاول ان يبتعد وينعزل . . لكى ينفرد بنفسه . . ولكى يتحاشى نظرات الفضوليين . . والشامتين . .

لكنى هذه المرة لم اكن فى حاجة لذلك كله - لسبب بسيط - هو انى لم اخرج من تلك التجربة الزوجية الثالثة منهارا . . ولا نادما . . ولا حزيننا . . علمتنى الحياة ان من يخسر المال اسعد من الذى يفقد نفسه . . وحرية . . وارادته . . علمتنى تجارب الدنيا العجيبة ان الانسان قرار . . المهم ان يعرف كيف يتخذ ذلك القرار فى التوقيت المناسب . . واعتقد انى اتخذت قرارى فى التوقيت الصحيح والملائم . . فلماذا اتوارى عن العيون ؟ ولماذا اهرب من الناس ؟ المال استطيع تعويضه . . وما يجرى يمكن نسيانه . . بسرعة اندمجت فى العمل . . وواصلت رفض الأدوار التى لم تعد تناسب عمري . . وواصلت أيضا تقديم أدوار مرحلة النضج . .

الفنان يجب الا يتوقف عند مرحلة فنية معينة . . يجب الا يصيبه الجمود . . لماذا اذهب بعيدا - دون ان تشير إلى ما حدث مع صديقى وحبيبى فريد شوقى . . لقد ظل متمسكا بلقب (وحش الشاشة) حتى بعد ان تخطى مرحلة الشباب . . وبقي مصرا على أداء الأدوار التى لم تعد تناسبه . . لكنه استطاع ان يدرك ذلك فى التوقيت المناسب قبل أن يدركه الخطر . . وقبل ان تتوارى من حوله الأضواء . . وأصبح يؤدي أدوارا انسانية لا تنسى . . واعترف الجميع بأن (وحش الشاشة) من أحسن ممثلى الدراما فى مصر . . وارتفع أجره . . وحصل على جوائز عديدة . . وأصبح هو نفسه راضيا عن نفسه وقانعا بالمستوى الفنى الكبير الذى حققه مع ادوار الشخصيات المسنة التى غطت التجاعيد وجوهها . . وانتشر الشعر الابيض فوق رءوسها . . وحقق من خلال تلك الأدوار كل ما لم يحققه عندما كان (وحش الشاشة) الذى يهزم الجميع ولا يهزمه احد .

هذه المرحلة - مرحلة الشيخوخة - هى أيضا بالنسبة لى أهم واخصب سنوات عمرى . . انها سنوات النضج . . والاكتمال . . قدمت انجح وأهم ادوارى . . وقد كانت بداية هذه المرحلة بالنسبة لى فى فيلم « المرأة المجهولة » الذى اديت خلاله مرحلتين مختلفتين من العمر . . الزوج الذى كان شابا - ثم نفس الزوج بعد ان أصبح عجوزا . . المهم ان نهتم بكتابه الادوار التى تناسب الممثلين المتقدمين فى العمر كما يحدث فى الخارج . . وحتى ذلك الممثل الذى أصيب بالشلل اعدوا له حلقات خاصة . . ولم يتركوه بلا عمل . . بل اشعروه بحاجتهم اليه واقتقارهم لادواره . . فعوضوه نفسيا عما حدث له . . وبالطبع لو كان ذلك الممثل (المشلول) مصرية . . لألقوا به فى أحد المستشفيات . . ولا اعتقد ان واحدا من كتاب القصة السينمائية كان سيفكر فى كتابة دور خاص له يراعى ظروفه الصحية . . ويستفيد من طاقاته الفنية . . بل كان سيعيش بقية ايام حياته وحيدا . . دون كلمة مواساه . . او باقة ورد . . وستصبح نهايته المحتومة مجرد خبر صغير فى صحيفة ، يعلن رحيله . . ويعلن ايضا ان احدا من الذين زاملوه وعملوا معه لم يظهر فى جنازته ليودعه الوداع الأخير . .

ومن أدوار مرحلة النضج التى اعتز بها دورى فى فيلم « ثرثرة فوق النيل » الذى كان يتطلب منى أن أكون مدخنا للحشيش . . وان أظهر فى أكثر المشاهد غائبا عن الوعى . . وكان معروفا عنى أنى لا أعرف أى نوع من المخدرات . . لم استعملها . . ولم افكر فى استعمالها . . وقبلت التحدى . . ان أتحدى نفسى . . وأؤدى باتقان دور الشخص الذى يتعاطى المخدرات . . وانا الذى لم اعرفها فى يوم من الايام . .

وقال لى البعض - يجب أن تجرب بنفسك . . حتى تستطيع أن تؤدي الدور بالصورة السليمة . .

وعرضوا على أن أذهب معهم الى احدى (الغرز) لكى أشارك الجالسين فى (القعدة) ، ورفضت . . لكن كان هدى أن اعرف تصرفات (الحشاش) . . طريقة كلامه . . وحركته . . وتعبيراته . . وما هو الفرق بين (الحشاش) وبين (السكران) . . وعرفت أن الذى يتعاطى الحشيش يتكلم بهدوء . . ولكن ليس بطريقة (السكران) الذى لا يستطيع أن يتكلم . .

وعرفت أيضا أن الذى يتعاطى المخدرات تبدو عيناه تائهتين لا تنظران إلى شيء محدد . .

وأذكر أن بعض الزملاء المشاركين فى تمثيل ادوار الفيلم قد ادوا كما يؤدي (السكران) وليس كما يؤدي من يتعاطى المخدرات - بينما اديت أنا كما يؤدي (الحشاش) رغم انى لا اعرف المخدرات ولم اذقها ابدا فى يوم من الأيام . وأعتقد أن افضل مرة اديت فيها دور (السكر) كانت فى فيلم (سونيا والمجنون) . . وبالتحديد فى مشهد (السلم) . . بعد انتهائى من أداء ذلك المشهد لاحظ المخرج حسام الدين مصطفى أن شاربى المستعار لم يكن مثبتا بطريقة طبيعية . . وكان لا بد أن نعيد تصوير المشهد مرة أخرى بسبب الشارب . . كان صعبا أن اندمج مرة أخرى بنفس احساس المشهد الذى صورناه . . ورغم ذلك قلت لهم - (لا يهم . . سأؤدي المشهد مرة أخرى . . سأعود سكيراً كما كنت) . وفى فيلم (اسياذ وعبيد) الذى أخرجه على رضا اديت دور موسيقى اصيب بالشلل . . وهو دور يحتم على من يؤديه أن يظل جالسا فوق مقعد متحرك . . وهكذا ظهرت فى كل المشاهد صامتا . . جالسا فوق المقعد المتحرك . . لم اقل غير ثلاث كلمات ورغم ذلك كنت سعيدا بذلك الدور ، فقد اتاح لى فرصة التعبير بوجهى وبعينى . . انه أفضل فى رأى من ادوار البطولة المطلقة كثيرة الكلام . . قليلة التعبير .

أما أغرب موقف تعرضت له أثناء عملى السينمائى فهو ذلك الذى حدث عندما كنت أشارك الفنانة مديحة يسرى . . فى فيلم قديم من اخراج عز الدين ذو الفقار . . كان المشهد الذى يجرى تصويره يتطلب أن اظهر نائما على السرير . . وبجوارى مديحة يسرى التى كان مفروضا أن تقوم هى بكل الاداء والحركة فى ذلك المشهد . . وأن تظهر وهى تتقلب فى الفراش تعبيرا عن قلقها وانشغالها . . بينما كان مطلوبا منى فقط أن اظهر فى المشهد مستغرقا فى النوم العميق . . وكنت بالصدفة مرهقا جدا فى ذلك اليوم . .

وبمجرد ان وضعت رأسى على الوسادة . . استغرقت فى النوم الحقيقى . . وليس فى النوم التمثيلى . . واعدوا المشهد مرة اخرى . . وعندما اكتشفوا نومى - قال لهم المخرج عز الدين ذو الفقار

— (سيبوه ناييم . . المهم ما يشخرش) .

ثم اعدوا تصوير المشهد مرة ثالثة . . ورابعة . . وخامسة . . لكن حدث ما لم يكن فى الحسبان . . شب حريق مفاجىء داخل البلاتوه . . وانشغل الجميع بمحاولة اطفاء النيران . . ونسيونى تماما . . لم يفكر احدهم فى ايقاظى . . لكننى استيقظت فجأة مذعورا مع اصوات صارخة (طفوا النار . . طفوا النار) . . وبدون ان اشعر وجدتنى اصيح مثلهم (طفوا النار . . طفوا النار) . . لدرجة انهم لم يتمالكوا انفسهم . . وانفجروا ضاحكين . . وحمدت الله ان النار لم تصل إلى السرير الذى كنت نائما عليه - ومن يومها لم انم داخل البلاتوهات . . مهما اكن متعبا . .

اما شخصية الأخ الأكبر الذى يحترق كالشمعة ليملأ حياة من حوله بالنور والامل . . (احمد عاكف) . . بطل رواية (خان الخليلى) للكاتب الكبير نجيب محفوظ . . هذه الشخصية سعدت بتقديمها مرتين . . وبشكلين مختلفين . . المرة الأولى على المسرح عندما حولت الرواية إلى مسرحية من اخراج حسين كمال ، والمرة الثانية عندما حولت الرواية إلى فيلم سينمائى اخرجه عاطف سالم . . لكن (احمد عاكف) السينمائى كان اوضح واقرب للرواية الاصلية من (احمد عاكف) المسرحى . . ولذلك سعدت بدورى السينمائى اكثر من دورى المسرحى :

اما دورى فى فيلم (ميرامار) المأخوذ عن رواية نجيب محفوظ التى تحمل نفس الاسم . . فهو أيضا من الأدوار العريضة والمحبة الى نفسى . . رغم انى لم اكن البطل الأوجد . . فالجميع كانوا أبطالاً . . لكن ذلك الفيلم (ميرامار) كان مختلفا عن افلامى السابقة التى شاركت فى بطولتها . . فهو فيلم جرىء . . ملء بالنقد الاجتماعى لكثير من الأوضاع فى حياتنا . . وكان هناك اتجاه لمنعه من الوصول الى الشاشة بسبب نقده الشديد لرجال الاتحاد الاشتراكى . . والمستفيدين من الثورة دون ان يكونوا مقتنعين بها . . وكل الانتهازيين الذين رفعوا شعاراتها دون ان يفهموها . . ويكفى ان فيلم (ميرامار) لم يصرح بعرضه الا بعد ان شاهده مسئول كبير جدا . .

وهناك افلام لم اكن فيها بطلا مطلقا . . احظى وحدى بكل الاهتمام والاضواء . . ورغم ذلك اعتز بها واعتبرها من ذكرياتى الفنية السعيدة . . دورى مثلا فى فيلم (الرجل الذى فقد ظله) قصة الكاتب المعروف فتحى غانم . . ودورى فى فيلم (المذنبون) الذى اعتبره مع (ثرثرة فوق النيل) و (ميرامار) من الافلام ذات

الطابع السياسى . . . وفى (المذنبون) الذى اخرجہ سعيد مرزوق عن قصة نجيب محفوظ . . . قدمت شرائح مختلفة من قطاعات المجتمع بكل ما فيها من فساد . . . فمن خلال مصرع الممثلة المعروفة تشير اصابع الاتهام إلى اكثر من متهم . . . ومن بينهم (ناظر المدرسة) الذى كنت اؤدى دوره . . . ناظر مدرسة طيب القلب . . . وشريف . . . عفيف النفس . . . لكن الظروف التى كانت اقوى منه دفعته الى طريق الهاوية . . . الى التخلي عن عفة النفس التى كانت افضل واشهر مزاياه . . . وفى ظل تلك الظروف الفاسدة . . . وتحت تهديد الظروف الأقوى منه اضطر لبيع اسئلة الامتحان . . . وكان لا بد ان تنهى حياته داخل السجن كواحد من هؤلاء (المذنبون) . . .

لقد شاركت فى بطولة اكثر من فيلم مأخوذ عن اعمال لكاتبنا الكبير نجيب محفوظ (خان الخليلى) و (ميرامار) و (ثرثرة فوق النيل) و (المذنبون) . . . وكنت اعرف ان نجيب محفوظ يكن لى تقديرا خاصا . . . لكنى لم التق به للاسف . . . لانه متباعد دائما عن الاعمال السينمائية المعدة عن رواياته . . . ويخيل الى انه لا يشاهد حتى تلك الأفلام . . . انه كاتب عزيز الانتاج . . . ويبدو أن وقته المشغول بالخلق والابداع لا يسمح له بالذهاب الى دور السينما . . . على عكس الاديب الراحل يوسف السباعى مثلا الذى كان حريصا على معايشة اعماله الأدبية اثناء عملية تحويلها لأفلام سينمائية . . .

وقد ذكرت من قبل انه التقى بى اكثر من مرة ليناقشنى فى الادوار التى ساؤديها فى أفلامه كما حدث فى « بين الاطلال » و « انى راحلة » . . . كان مهتما جدا بالشكل الذى ستخرج به رواياته وشخصياته . . . ولم يكن يطمئن او يهدأ الا عندما يشعر بالرضا الكامل عنها . . . لدرجة انه كان يحرص على حضور التصوير داخل البلاتوهات . . .

ومن الادوار الصغيرة التى اعتزبها ايضا دورى فى فيلم « ابي فوق الشجرة » الذى اخرجہ حسين كمال . . . لقد أديت فى ذلك الفيلم دور والد البطل (عبد الحليم حافظ) . . . وما زلت اذكر ذلك المشهد الذى صورناه فى لبنان . . . وكان مفروضا ان اصفع عبد الحليم على وجهه - بحق الابوة . . . وبدافع الخوف عليه . . . وبعد تصوير المشهد قلت لعبد الحليم حافظ ملاطفا ومداعبا . . .

— اوعى يا حليم تشوف لك اب تانى غيرى . . .

وكنت قد ظهرت ايضا كاب لعبد الحليم فى فيلم (الخطايا) الذى اخرجہ حسن الامام . . . وما زلت اذكر ذلك اليوم الذى كنا ننهى فيه المشاهد الاخيرة من فيلم (ابي فوق الشجرة) داخل استوديو الأهرام . . . دخل عبد الحليم غرفتى

وصافحني بحب .

— انا مسافر لندن يا استاذ عماد . . مش عايز حد يعمل ابويا غيرك في الفيلم الجديد . . ده اتفاق بيننا . .

قلت ضاحكا - وانا موافق

وقال عبد الحليم - إن شاء الله الفيلم الجاي حنكون فيه مع بعض . . هناك فكرة فيلم جديد سيجرى تصويره في لندن . . اتفقنا
قلت - اتفقنا . .

لكن القدر تدخل . . وافسد الاتفاق . . كان عبد الحليم يفكر في تصوير فيلم جديد في لندن . . وشاعت الظروف ان يذهب الى لندن بعد سنوات ويعود منها جثة هامدة . . ونستقبله بالدموع والاحزان . . لقد ظلموا عبد الحليم كثيرا . . قالوا انه يدعى المرض . . لكنه كان يتحمل ويتألم في صمت . . ويبتسم في وجوه الناس وهو يكابد متاعب وآلام المرض . . كم نحن قساة . . قساة جدا .

.. والقيت الجائزة في الخرابه

بدأ التليفزيون يغريني بالتعامل معه . . أصبح منافسا خطيرا للسينما في معظم بلاد العالم . . حتى في امريكا وفرنسا وانجلترا والمانيا . . ولم يكن معقولا ان ارفض التعامل مع صديق كل أسرة . . ورفيق كل بيت . . وأنيس الكبير والصغير . . وسافرت مرات عديدة للمشاركة في بطولة مسلسلات تم تصويرها في الخارج . . لكنى اعتز بشكل خاص بدورى في مسلسل (سليمان الحلبي) . . وبدورى في مسلسل (عيلة الدوغرى) الذى اخرجيه يوسف مرزوق الذى عرفته انسانا ملتزما . . وفنانا مهذبا . . يتميز باخلاقه العالية . . وذات صباح . . وبينما كنت نائما بغرفتى بأحد فنادق دى دى جرس التليفون . . فرفعت السماعة مذهشا . . لم تكن الساعة قد تجاوزت السابعة صباحا . . وأنا لا احب المكالمات التليفونية التى تأتى على غير توقع في الاوقات المبكرة جدا من الصباح . . او في الساعات المتأخرة من الليل . . عادة ما تحمل انباء غير سارة . . ولا تأتى الا بالمفاجآت . . لطفك يا رب . .
قلت - ألو . .

وسمعت صوتا خليجيا يقول :

— مبروك يا استاذ عماد . .

قلت متسائلا - خير ؟

قال - خدت جائزة عالمية . .

قلت - الله يبارك فيك .

ثم وضعت السماعة . . وبدأت استعد للنوم من جديد . . قلت ربما كان نوعا من المزاج الثقيل الذى يتعرض له المرء احيانا . . او ربما تكون مداعبة بريئة من شخص لا يريد ان يكشف لى عن شخصيته . . ولم اغادر الغرفة الا فى العاشرة صباحا . . لكنى وجدت مجموعة من زملائى العاملين معى فى المسلسل متجهين نحوى مصافحين . . ومهنتين . . ومشيرين بفرح غامر إلى بعض الصحف التى يحملونها . . وبدأوا يذكرون لى تفاصيل الخبر السار . . لقد فزت بجائزة عالمية من مهرجان القاهرة السينمائى الدولى . . كل أعضاء لجنة التحكيم من الأجانب . . المصرى الوحيد فى اللجنة هو المخرج كمال الشيخ . . رئيس اللجنة لم يكن يعرف كيف يقرأ اسمك . . ممدوح الليثى استلم الجائزة نيابة عنك لعدم وجودك فى القاهرة . . كانوا سعداء جدا . . وبدأ كل واحد منهم وكأنه هو الذى حصل على الجائزة . . وفرحت لفرحهم . . وشعرت فى تلك اللحظة بأنى وسط اخوانى وأهلى . . الجوائز تشعر الفنان بأنه موجود . . وبأن هناك من يقدره . . من يراه ويسمعه . . من يقدر الجهد الذى يبذله . . فأشدد ما يؤلم الفنان ان يكتشف يوما بأن أحدا لا يشعر بما يقدمه من فن وجهد ومعاناه . . وعندما تجيء الجوائز فى الوقت المناسب تكون راحة للنفس . . وشفاء للروح . . ودواء لكل الآلام . لكنها احيانا ما تجيء فى الوقت غير المناسب . . فى الوقت الضائع فتزيد تعاسة صاحبها . . هذا الموقف عبثته وجربته . .

كنت قد حصلت على جائزة كبيرة جدا تقديرا لأدائى ولجهودي المتواضعة . . جائزة أدبية على هيئة تمثال جميل الشكل . . عظيم القيمة . . تسلمتها من شخصية كبيرة جدا . . لكنى تسلمت الجائزة بلا فرح . . جاء الفرح فى لحظة لم أكن مهيا فيها لاستقباله . . جاء الفرح فى وقت صعبت فيه ابتسامتى . . كنت أمر وقتها بظروف مادية صعبة ترتبت على حالة الكساد السينمائى التى كانت سائدة فى وقت من الاوقات . . حملت الجائزة وأنا أشعر بالتعاسة . . من الخارج أحاول ان ابتسم . . وفى داخلى حزن لا يوصف . . ما معنى الجائزة وليس فى بيتى طعام يكفينى أنا وأسرتى ؟ الفنان قبل كل شئ انسان يريد ان يعيش حياة كريمة . . ووجدت نفسى ألقى بالجائزة القيمة من النافذة فى أقرب (خرابة) . . وبدون أى شعور بالنندم !

وقبلت أخى . . قبلة الموت

خرجنا معنا للدنيا فى لحظة واحدة . . واجهناها معا . . توأمان . . شبيهان فى كل شئ . . يربطنا (خلاص) واحد . . حالة معروفة علميا باسم « Identical » . .

التشابه بيننا يصل الى حد التطابق . . الملامح الخارجية متطابقة . . وطريقة التفكير ايضا متطابقة . . انا جزء منه . . وهو جزء منى . . نحن الاثنان نكمل بعضنا البعض . . وجهان بملامح واحدة . . وعقلان بتفكير واحد . . تلك كانت علاقتى القوية جدا بأخى « عبد الرحمن » الذى عاش حياته فى مجال السلك الدبلوماسى - وزيرا مفوضا - تنقل فى بلاد كثيرة وعاد اكثر من مرة الى الهند . . والاتحاد السوفيتى . . وتشيكسلوفاكيا . . كنا متشابهين فى كل شيء . . حتى فى عدم استقرارنا فى حياتنا الزوجية . . وعندما أحيل للمعاش كان يحلوه ان يقضى أغلب الايام عندى . . نجلس لنتكلم . . ونتسair . . ونلعب (الكوتشينة) فإذا غلبنى يشعر انه فاز على نفسه . . وإذا غلبته أشعر كأنى فزت على نفسى . . ثم يعود الى بيته فى المساء . . وعندما داهمتنى متاعب القلب . . ونصحنى الاطباء بضرورة البقاء فترة فى معهد القلب لكون تحت رعاية واشراف الاطباء المتخصصين . . كان أخى عبد الرحمن معى دائما . . يسأل عنى ويتابع حالتى . . ويرفع من معنوياتى . . وحدث مرة انه كان مضطرا للذهاب الى الشقة فى غيابى . . ليساعدنى فى الاشراف على ترتيبها واعدادها استعدادا لزواج ابنى نادر . . لكن نادر فوجئ بعمه الدبلوماسى الوقور . . الرزين ينفجر باكيا . . وحاول نادر ان يعرف من عمه سربكائه ونحيبه . . لكنه لم ينجح فى منع دموعه التى سالت غزيرة . . حارة . . على وجنتيه . .

— مالك يا عمى ؟

—

— فيه حد مزعلك ؟

—

— اكيد انا الى مزعلك .

— بابكى يا نادر . . لأن دى اول مرة ادخل البيت وابوك مش موجود فيه .

وحكى لى نادر ما حدث . . وحكى لى أيضا عن الأمه . . وهو مندهش . .

— لم اكن اعرف ان عمى بيحب بابا بالطريقة دى .

فقلت لابنى نادر الجالس بجانبى فى معهد القلب . .

ساحكى لك يا نادر موقفا غريبا انا شخصا ما زلت حائرا فى تعليقه

وتفسيره . . ربما استطعت انت ان تفسره لى .

حدث ذات مرة ان وجدت فجأة كيسا دهنيا فى هذا المكان من رقبتي . . لم اهتم

فى البداية . . وقلت ربما زال غدا او اختفى بعد أيام . .

وفى اليوم التالى وعندما جاء عمك عبد الرحمن . . لاحظت اثناء انشغاله بخلع

ملا بسه . . لاحظت وجود كيس دهنى مشابه للكيس الدهنى الذى اكتشفته على رقبتي . . بل وموجود أيضا فى نفس المكان من الرقبة فقلت له :
— انت عندك كيس دهنى زى اللى عندى .

قال - أيوه

ثم اضاف قائلا :

— لا تشغل بالك . . دى حاجة بسيطة . . مفيش منه ضرر . .
ولم اقل شيئا بعد ذلك . . وذات مرة ذهب الى جراح كان من اصدقائه الذين يلعب معهم (الطاولة) . . ولاحظ صديقه الجراح وجود الكيس الدهنى . .
وقال لآخى عبد الرحمن . . كيف تترك هذا ؟ لابد من اجراء عملية . . ويبدو ان صديقه الطبيب قد نجح فى اقناعه . . وازال له فعلا الكيس الدهنى .
وبدا آخى عبد الرحمن يقنعنى بضرورة ازالة الكيس الدهنى المشابه الموجود فى نفس المكان من الرقبة . . واخبرنى بوجهة نظر صديقه الطبيب الجراح . . قلت . .
— (إن شاء الله . . بس لما افضى شتوية)

لكن المفاجأة التى اذهلتنى كانت اختفاء الكيس الدهنى الذى كان على رقبتي . .
اختفى مع اختفاء وازالة كيسه الدهنى . . ظهر الكيسان الدهنيان عنده وعندى فى وقت واحد . . ثم اختفيا ايضا فى وقت واحد . . أقسم بالله العظيم هذا ما حدث بالضبط . . بعد أربعة أيام فقط من ازالة الجراح لكيسه الدهنى . . اختفى الكيس الدهنى المشابه عندى . . كيف يمكن تفسير ذلك علميا وطبيا ؟

واشفقت على ابنى نادر المدهش . . فهو مثلى سيعجز عن تعليل ما حدث . . لكنى بشكل عام كنت اشاركه حالته المرضية . . وهو ايضا كان يشاركنى حالتي المرضية . .
حتى لو كان بعيدا عنى بالآف الاميال . . حدث مرة وكنت ايامها متزوجا من شادية . .
حدث انى اصبت بانزلاق غضروفى . . لدرجة انى كنت ازحف من شدة الألم وقلة القدرة على الحركة . . وبعد ايام قليلة جاءنى خطاب من آخى عبد الرحمن الذى كان ايامها مقيما فى الاتحاد السوفيتى قال فى خطابه : (أننى اشكو هذه الايام من حالة انزلاق غضروفى . . تصور انى ازحف زحفا من شدة الألم . . ومن قلة القدرة على الحركة) .

على أى حال - هذه حالة معروفة علميا باسم (**Telepathy**) أى تبادل الخواطر والشعور . . وكأن هناك اتصالا لاسلكيا بين العقليين . . وبين الجسدين . . وهناك حالات اخرى معروفة . . الكاتبان الصحفيان الكبيران مصطفى أمين وعلى أمين . .
وزكريا عبد الفتاح وتوفيق عبد الفتاح . . ولذلك اصابنى الرعب عندما داهمتنى

متاعب القلب . . خشيت ان يحدث لقلبه ما حدث لقلبي . . وطلبت منه لدرجة الالاح ان يفحص قلبه لكى يطمئن . . ولكى اطمئن انا ايضا . . ولم اهدأ الا بعد ان فحصه الدكتور عوض مرتين . . وقال له (قلبك قلب واحد بيلعب حديد . . لكنى لم اصدق الطبيب .

(ارجوك يا دكتور . . قول لى الحقيقة)

فيؤكد الطبيب من جديد ان قلب أخى عبد الرحمن مثل الحديد .
وذات يوم - وبينما كنا نلعب كالعادة (الكوتشينة) فى شقتنا . . توقف فجأة عن اللعب قائلاً :

— حاسس انى متضايق . . التنفس مضايقنى)

واخذته فوراً الى معهد القلب مرة اخرى . . وفى الطريق الى امبابه كنت ادعو الله هامسا ان يبعد عن قلبه متاعب قلبي . . ان يحميه من كل مكروه . . ذلك القلب الطيب الذى تحمل الآمى . .

كان يوم شم النسيم . . ولم يكن الدكتور عوض موجودا بالمستشفى ولانى (زبون قديم) فى معهد القلب . . فقد اهتم الطبيب النوبتجى وبدأ فحص أخى . . لكنه كان فحصا ظاهريا . . وبعد انتهاء الفحص قال :

— مفيش حاجة . . قلبه طبيعى .

واثناء عودتنا الى بيته - قلت لأخى عبد الرحمن :

— اطمئن . . ساخذك للدكتور عوض بعد الظهر . . حتى تطمئن أكثر

وخلع أخى عبد الرحمن ملابسه . . وقال لى ساستريح قليلا . .

وفضلت ان اتركه يستريح . . على ان اعود له بعد ساعتين لاصطحبه معى للدكتور محمد عوض . . وما ان وصلت لمسكنى . . وقبل ان افتح الباب . . سمعت رنين التليفون . . ودق قلبى المتعب دقات خائفة مذعورة . . واسرعت رافعا السماعة . . وسمعت من يقول لى :

— احضر معك انبوبة اكسوجين . . أخوك تعبان .

وبسرعة عدت الى هناك من جديد . . الى بيت أخى الذى تركته منذ قليل . . ووجدت حوله بعض الاطباء من جيرانه . . واصابنى الوجوم عندما رأيتهم يدلكون قلبه .
وقال لى احد الاطباء (انفخ فى فمه) . . واندفعت نحو أخى . . ووضعت فمى على فمه . . شفتائى على شفتيه . . وبكل ما تبقى فى من قوة نفخت . . لكنها كانت (قبلة الموت) . . القبلة الأخيرة . . قبلة الوداع . . يا لسخرية القدر . . هو صاحب القلب السليم . . يموت قبلى انا صاحب القلب العليل . . فلتبك

يا قلبي .. فلتنزف دموعا .. ودما .. وحسرة .. لقد رحل اعز الاعزاء ..
واحب المحبين .. كيف تستمر حياتي بدونه .. بدون نصف عقلي .. ونصف
روحي .. ونصف قلبي ؟

واحترق المشهد الأخير

بعد رحيل أخى التوأم عبد الرحمن . . لم اعد متمسكا بالحياة . . ولا راغبا فيها . . السهر خارج البيت لم يعد يستهوينى . . وحتى حياة الاستديوهات لم تعد تسعدنى وتشجبنى . .

اصبحت اميل للوحدة والانطواء . . افضل الانفراد بنفسى . . لاكون المتفرج الوحيد على شريط الذكريات الذى لا يتوقف . . شريط يحوى كل المفارقات . . وكل الغرائب . . والاعاجيب . . احداث لو شاهدناها فى الافلام لما صدقناها . . ولقلنا ان كاتب القصة يميل الى المبالغة . .

ان الواقع يكون احيانا اغرب من الخيال . . احداث اطول فيلم تمر امامى . . احداث حياتى . . لحظات القوة . . ولحظات الضعف . . ايام الثراء . . وايام البؤس . . ليالى السهر والصحبة . . وليالى الاكتئاب والوحدة . . ذهبت الى أكثر من طبيب . . لم اعد أشكو فقط من قلبى العليل . . فقد اصبح جسمى الهزيل هدفا لكل الامراض . . أصبحت اعانى من حالة اكتئاب نفسى لا اعرف متى ستنتهى . .

كان أخى الأكبر عبد الرحمن يمرض اذا مرضت . . ويشفى اذا شفيت . . يفرح عندما افرح . . ويحزن عندما احزن . . كان يشعر بآلامى حتى لو باعدت بيننا الاف الاميال . . توأمان متشابهات فى كل شيء . . حتى فى عدم استقرارهما العائلى . . لم يعرف الاستقرار فى حياته الاسرية . . وأنا أيضا لم أنعم ابدا بذلك الاستقرار العائلى . . ولم يخالفنى الا مرة واحدة عندما ترك الدنيا قبلى . . وتركنى وحدى ! اللهم لا اعتراض . . هذه حكمتك . . وهذه ارادتك . . وماذا يملك المخلوق الضعيف امام مشيئتك ؟

لم يكن مجرد أخ . . بل كان جزءا من كيانى . . اننى اتخيله كالعادة قادما بابتسامته الطيبة . . ومرحه المعهود . . وكلماته المخلصه التى تريح النفس . . ثم ننشغل بلعب الطاولة . . ولا نتوقف عن الحديث . . يحكى لى متاعبه . . واحكى له

متاعبي . .

كان صديقى فى زمن أصبحت فيه الصداقه المخلصه نادرة الوجود . . وكان يجيد
قراءة افكارى . . يكفى أن ينظر إلى وجهى حتى يعرف ما يشغلنى ويضننى . . فكيف
لا يلزمنى الاكتئاب من بعده ؟ وكيف لا أصبح زاهدا فى الحياة كلها ؟
ويبدو أن الصدمات الكبرى تحصن الإنسان ضد الألم . . تمنحه المناعة . .
فيتقبل الصدمات الجديدة باندهاش أقل . . وبتماسك أشد . . وهذا ما حدث
معى . . فلم يكن يمر عامان على رحيل أخى التوأم عبد الرحمن . . حتى لاحق المرض
المفاجئ أخى (رءوف) الأصغر . . كان من أفضل ضباط الشرطة فى مصر . . ومن
أكثرهم نزاهة . . وكانت تلك أيضا شهادة كل الذين احتكوا به وعملوا معه . .
لا اتحدث عن أخلاقه العاليه لمجرد أنه أخى . . لا أشيد بنزاهته لأسباب عاطفيه . .
لكن هذه حقيقة يعرفها كل الذين عملوا معه فى اسبوط عندما كان مديرا للأمن . .
بدأ أخى رءوف يشعر بالآلام مفاجئه . . وشخص الأطباء حالته على أنها حصوة فى
المرارة . . لكن الآلام بدأت تشتد أكثر وأكثر لدرجة لم يعد يتحملها . . وقرر الأطباء
اجراء عملية فتح بطن له ليعرفوا مصدر تلك الآلام . . لكنهم بمجرد أن فتحوا بطنه
اغلقوها فى الحال . . كان المرض الخبيث الذى لا يرحم قد تملك منه وانتشر فى كل
مكان . . وبعد اجراء العمليه توفى أخى رءوف . . واستراح من كل الآلام . . توفى بعد
عامين فقط من وفاة أخى التوأم عبد الرحمن . . وتتراكم الاحزان فى صدرى . .
ولم يعد باقيا من اخواتى غير أخى (محمود) . . وكان يعمل مهندسا بشركة
طيران قبل احواله الى المعاش . . بالاضافه الى أخى الأكبر الذى يعيش فى مستشفى
الأمراض العقلية منذ ثلاثين عاما . . أنه ليس من النوع الخطر الذى يخشاه
العقلاء . . بل هو انسان هادئ ووديع . . كان عاديا وطبيعيا قبل أن تجذبه كتب
السحر والارواح . . وانشغل كثيرا بعالم الارواح . . ويبدو أن الارواح الشريرة قد
مسته وإصابته . . بل وتملكته تماما لدرجة افقدته توازنه . . لقد هرب أخى الأكبر
مرتين من مستشفى الأمراض العقلية . . وفى كل مرة كنت احاول اقناعه بأن يعود من
جديد الى هناك خوفا واشفاقا عليه من الناس . . كان أخى الأكبر مثاليا . . بل كان
أكثرنا طيبه . . والجميع عرفوه خدوما . . يسعى دائما لخدمة الآخرين عندما كان
موظفا بإدارة السكك الحديدية . . وقبل أن ينجذب . . بشدة الى عالم السحر
والارواح . . كان يستعد للزواج . . لكن الظروف لم تساعد على ذلك . . مسكين أخى
الأكبر . . لكن رغم كل ما جرى له فهو يسعد ويفرح عندما يرانى على شاشة
التليفزيون . . بل ويكون فخورا بى . .

أما اختى الصغيرة فقد ماتت صغيرة السن . . كانت جميله جدا . . ولم تكن بدينة الى الدرجة التى تجعلها حريصه على عمل (الرجيم) القاسى . . ورغم ذلك لجأت إلى محاولات التخسيس غير الطبية . . فأصببت بحالة ضعف ادت بها فى النهاية الى الاصابة بمرض صدرى . . وحاولنا انقاذها فى مستشفى حلوان . . لكن المرض كان أقوى منها . . ومنا . . !

هكذا داهم الخريف شجرة العائلة . . فبدأت اوراقها تجف وتسقط واحدة بعد الأخرى . . ووسط حالة الاكتئاب - بقيت انتظر سقوط ورقة أخرى من شجرة عائلتنا . . وزقة عتيقة أصابها الوهن والجفاف . . ورقة فقدت اخضرارها . . واصبحت شاحبة اللون . . واصابها الاصفرار . . واصبحت اترقب سقوطها بين لحظة وأخرى . . ورقة اسمها عماد حمدي .

وكان اخر ادوارى . .

اتصل بى المخرج السينمائى الجديد عاطف الطيب الذى رشحنى للمشاركة فى تمثيل فيلم (سواق الاتوبيس) . . اعجبتنى قصة الفيلم . . ودور الأب الذى سأوديه . . والمعنى الهام الذى يؤكد الفيلم (الوفاء) الذى أصبح نادرا فى هذا الزمان . . العلاقات الأسرية التى فقدت حرارتها وأصالتها . . العلاقات الانسانية التى تضعف وتختفى وسط عالم مشغول فقط بالماديات . . كل انسان أصبح جزييره منفصله . . عالما مغلقا . . كل انسان يرى فقط مصالحه الخاصة . . ومن أجل تحقيق المصالح الشخصية يهون كل شيء . . ووسط ذلك العالم المادى المشغول بجمع المال ضاع احترام الابناء لأبائهم . . وضاع حب الاخ لأخيه . . الجشع والطمع كادا يقتلان كل العواطف الاسرية والعلاقات الانسانية . . يحاول الابن فى ذلك الفيلم أن ينقذ والده من الافلاس . . لقد عاش الوالد العجوز شبابه وكهولته داخل مستودع الاخشاب الذى يعرضونه للبيع فى المزاد . . ترك فيه كل ذكريات الماضى . . وكل آمال المستقبل . . ويحاول الابن الوفى (سواق الاتوبيس) أن ينقذ أباه . . فيسرع الى بقية الاهل والأقارب مستنجدا بهم طالبا معونتهم . . لكن احدا لم يهتم . . لم تهز ضمائرهم مأساة الأب المسكين . . وانشغلوا بالصفقات التجارية . . دون أن يعرضوا للمساعدة . . لكن الابن الوفى البار لا ييأس . . ويستमित حتى ينجح فى النهاية فى احضار المبلغ المطلوب لانقاذ مستودع الاخشاب من البيع فى المزاد . . وفى اللحظة التى يدخل فيها غرفة الأب لكى يسلمه دليل الوفاء يفاجأ بأن الأب قد مات . . فارق الحياة وهو يشعر بجحود اهلها . . وقلة وفائهم . . وانعدام انسانيته . . قتلته الصدمة . .

اعجبني المغزى الانساني الذي يقدمه الفيلم (الوفاء المفقود في عالم مادي جدا ضاعت منه كل القيم الانسانية) . . ورغم شعوري بالاجهاد والارهاق أثناء فترات التصوير . . الا اني كنت احاول أن اتماسك حتى ينتهي التصوير على خير . . وتحاملت على نفسى حتى صوروا المشهد الاخير الذي اظهر فيه . . المشهد الذي اظهر فيه ميتا . .

والعجيب انه كان يلزمني شعور غامض بان هذا المشهد سيكون آخر مشهد أؤديه . . وآخر مشهد اظهر فيه على شاشة السينما : مشهد رجل يموت ويودع الدنيا أسفا على ضياع الوفاء . . ومتحسرا على انهيار العلاقات الانسانية . . ومصدوما من انشغال الناس بجمع المال لدرجة الجنون . . كان يلزمني شعور غامض باننى أؤدى آخر ادوارى . . وبان فيلم (سواق الاتوبيس) سيكون آخر الافلام التى اشارك فى تمثيلها . . لكن حدث بعد ذلك أن رشحنى المخرج على عبد الخالق للمشاركة فى تمثيل فيلم (العار) الذى اعجبني فكرته وقصته . . وتحاملت على نفسى وذهبت الى الاستديو . . لكن شعوري بالارهاق كان يزداد . . ورغم ذلك تماسكت بقدر الامكان . . فالحقيقة انهم اخجلوني برقة مشاعرهم . . لدرجة ان كاتب القصة والسيناريو (محمود ابو زيد) كان من شدة تهذيبه يوصلنى إلى بيتى . . ويعاملنى بأدب زائد . . وقلت لنفسي - انهم يعرفون حالتى الصحية المتدهورة . . هذا سر عنايتهم الفائقة بى . . وبصراحة بدأت اشعر بالخجل من كثرة عنايتهم بى . . وحرصهم الزائد على راحتى اثناء احضارى الى الاستديو - أو عند اعادتى الى البيت . . ومر أول يوم من ايام التصوير بسلام . . ورغم حالتى الصحية المتدهورة فقد اديت المطلوب منى . . لكن كانت المفاجأة فى اليوم التالى . . ان الجزء الذى تم تصويره احترق فى المعمل . . وكان . . لابد من إعادة التصوير مرة أخرى . . لكنى قلت لهم :

— انا أسف يا جماعة . . مش حاقدر اكمل

— قالوا - وما الحل ؟

قلت - شوفوا ممثل تانى . . مش قادر اكمل .

وبالفعل اختاروا ممثلا آخر غيرى . . وكانت تلك آخر مرة ادخل فيها استديو وبلاطوهات السينما . .

لقد صدق احساسى . . وكان المشهد الذى اموت فيه اثناء تصوير فيلم (سواق الاتوبيس) هو آخر مشاهدى السينمائية . .

ما معنى ذلك ؟

آخر ادوارى رجل عجوز يودع الدنيا أسفا على اختفاء الوفاء وآخر مشهد

أؤديه في فيلم (العار) احترق قبل ان يراه الناس . . وكاننى انا الذى احترق . .
واختفى . . مودعا عالم السينما . . مودعا الأضواء التى تحرق كل الفراشات
التي تحوم حولها !

واصبح التليفزيون رفيق وحدتى . . ومؤنس وحشتى . . ماذا يفعل عجوز متهالك
مثلى مرهق القلب والعقل . . ماذا يفعل غير متابعة ما يقدمه التليفزيون من ذكريات
بعضها افرحنى وادخل السكينة على قلبى المريض . . وكم كانت سعادتى عندما
شاهدت فيلم (ست البيت) الذى اخرجته احمد كامل مرسى عام ١٩٤٧ . . هذه
ذكريات الماضى تطل من خلال الشاشة الصغيرة . . فتدسنى امراضى . . وتخفف من
شعورى بالاكتئاب النفسى

زينب صدقى . . وفاتن حمامه . . وانا . . ومشكلة من المشاكل الواقعية من الحياة
داخل بيوتنا . . والصراع ما بين الزوجة والحماه . . من منها ستكون (ست
البيت) . . كنا قد صورناه في استديو ناصبيان . . وهو من الافلام التى لم تعتمد على
الميزانيات الضخمة التى تخصص للافلام الجديدة . . اعاد لى فيلم (ست البيت) كل
ذكرياتى الطيبة مع المخرج الكبير احمد كامل مرسى الذى كان مشهودا بامتيازته في عمله
كمخرج . . وكان مشهودا له ايضا بطيبة قلبه . .

لكن مشاهدة التليفزيون اصبحت تعذبنى . . ليس لأنها تعيد الى الذكريات
القديمة . . ولكن لانى لم اعد قادرا على الرؤية . . وكان لابد ان استشير اطباء العيون
وذهبت للدكتور صيام . . وهو صديقى قبل أن يكون طبيبى . .
قلت له - مش قادر اشوف بعينى . .

قال ضاحكا - بلاش مبالغة . .

لكن ابتسامته تبددت عندما انتهى من فحص العينين ونظر نحوى قائلا :

— انت عندك فيه بيضة في عينك .

— قلت - اعمل عليه . .

لكنه قال - نسيت ان عندك القلب .

فقلت له مكمل - وحصل لى كمان جلطه في المخ . .

وقال الطبيب - ممكن تعمل عليه العين تحت اشراف دكتور القلب . . ولو أن

هذه ايضا نتيجتها غير مضمونه . . انا افضل ان نتركها كما هي . .

لكنى قلت له - على العموم انا مش حالحق اعمل عليه . .

فقال الطبيب - دى حاجة بتاعة ربنا . .

وعندما عدت الى البيت حاولت أن اقنع نفسى بأن كل ما يقدمه التليفزيون ليس سارا

ومبهجا . . بل أن هناك بعض المكدرات التى تدفع الى الفيظ والتوتر العصبى . .
والمفروض أن اعيش بقية ايام حياتى بدون توتر عصبى . .
لقد لاحظت مثلا من اعلانات الافلام الجديدة اشياء عجيبة يكفى مثلا ظهور اغلب
الممثلين فى لقطات ومشاهد وهم يرتدون الملابس النسائية . . ويضربون بعضهم البعض
من أجل اضحاك المتفرجين . . بل أن مخرجا كبيرا وقديرا مثل بركات قد انضم
لصانعى تلك الافلام العجيبة التى انتشرت هذه الايام انتشارا مزعجا . . ولم أعد
حزينا لانى بدأت افقد بصرى ولعدم قدرتى على مشاهدة ما يقدمه التلفزيون . .
الافضل الا أرى شيئا يزعجنى ويكرنى . . فى هذه الحالة يصبح ضعف البصر نعمة
كبيرة . . لكن الشئ الذى يحزننى اننى فقدت استمتاعى بالقراءة التى تعتبر احدى
هواياتى . .

أصوات من الماضى

تفرق الاصدقاء . . وما عادوا يسألون عنى . . من سيتحمل مريض القلب الذى
فقد شبابه . . وحيويته . . وضحكاته . . ولم يعد قادرا على الابتسام . . من سيتحمل
انسانا يشكو الاكتئاب النفسى . . لكنى الآن لا املك شيئا حتى هذه الشقة المتواضعة
التي اسكن فيها تجلب لى المتاعب ايضا . . لقد تركت لنادية الجندى شقة-تمليك فى
الزمالك . . مكونه من تسع حجرات كانوا أصلا شقتين ضممناهما إلى بعضهما . .
وجهرتها بأفخر الاثاث احضرت له ورق الحائط وقماش التنجيد من الخارج . . ولم
ابخل عليها بشئ . . وضعت بعد ذلك كل ما معى من مال فى فيلم انتجته لتكون هى
بطلته (بمبه كشر) وخرجت من البيت وأنا لا املك شيئا سوى حقيبة واحدة بها
بدلتان . . خرجت بلا شئ . . لكنها مع ذلك لا تريد أن تتركنى اعيش بقية ايامى فى
هدوء . . تأتى الى هنا لتتشاجر معنا . . وتلمح بأنها يمكن أن تستولى حتى على هذه
الشقة المتواضعة التى اسكن فيها مع ابنى وزوجته وامه واولاده . . تلمح انها يمكن أن
تستولى عليها لابنها . . اقصد ابننا (هشام) . . الا يكفيها كل ما تركته لها
راضيا . . لكن الله موجود . . الله الذى اعطانى كل هذا لاعطيها ممكن أن يأخذه . .
لقد حاولت المستحيل لكى اخلق (حاله سلام) بين ابنى من زوجتى الاولى فتحية
شريف (نادر) وبين ابنى (هشام) من نادية الجندى . . لكن محاولتى كانت تبوء
بالفشل . . لأن الام تلعب دورا مهما فى تلك الحالات . . الام العاقله تنصح ابنها بأن
يكون عاقلا . . وحريصا على علاقته بأخيه . . ولا تملأ قلبه حقدا . . ولا تنمى فيه
نزعة الكراهية . . لا تشحنه باستمرار بالكلام المستفز . . فتدفعه للاحتكاك الدائم

بأخيه . . فيضيع معنى الاخوه . . لكن ابنى (نادر) كان واعيا ومدركا لما يحدث حوله . . ويعرف أن المشاجرات المفتعلة لن تنسيه ان له اخا من ابيه يجب ان يحرص عليه . . يسترضيه اذا غضب . . ويقترب منه اذا تباعد . . ويبقى بجانبه اذا مرض . .

حاول ان تستفيد يا بنى مما حدث لى الآن . . الا تجد فيه العبرة ؟ انفض من حولى كل الاصدقاء . . الجميع تركونى . . ولو كان اخى الاكبر فى حالته الطبيعى . . ولو كان اخى التوأم موجودا . . ولو أن اخى الاصغر رءوف على قيد الحياه . . ما كنت شعرت بتلك الوحده القاتله . . انك يا ابنى نادر لا تستطيع ان تبقى طول النهار بجانبى . . انت جديد فى عملك . . ولا بد أن تثبت وجودك وكفاءتك كمصور فى وكالة انباء الشرق الاوسط . . غير معقول يا بنى ان تتخلى عن عملك . . وعن حياتك الخاصه . . لكى تتفرغ لى . . لا تهمل عملك . . لا تضع وقتك . . انا لا احتاج شيئا . . كما ترانى ابقى طول النهار مكددا فوق سريرى . . فى سنين الصحة والعافيه كنت املا البيت حركة ومرحا وحياه . . بل وكنت احرص على دخول المطبخ لاتفنى فى اعداد الاطعمه الشهيه . . كانت هوايه ايضا من هواياتى الأخرى القراءة وتربية الخيول وصيد السمك . لكنى الآن غير قادر على الوصول الى باب المطبخ الا بصعوبة ومشقه . . واين هى المعدة السليمه التى تتحمل وتستقبل تلك الاطعمه . . واين هى الرغبة فى تناول الطعام . . اذا كنت قد فقدت الرغبة فى الحياه . . فكيف اغشك بالرغبه فى الاكل . . اقول ذلك كله لابنى نادر . . لكنى اشعر بأنه غير مقتنع . . قلبه لا يطاوعه . . وفأوه لاييه يمنعه من الغياب الطويل . . يعرف انى اصبحت فى حاجه الى المساعده . . والمسانده . . فى زمن عز فيه الصديق . . وقلت فيه المروءة . . ولم اعد اسمع غير كلمات المواساه التى تأتىنى عبر اسلاك التليفون الذى نادرا ما يدق وينادىنى كما كان يحدث ايام المجد والصحة والثراء . . كان رنينه لا ينقطع . . يشعرنى بأنى حى . . وبأن الناس يذكروننى . . لكن التليفون اصبح صامتا بجانبى . . قليل الرنين . . وكأنه يرثى لحالى . . يشاركنى صمتى ووجدتى . . ها هو التليفون اخيرا تعود اليه الحياه . . يعود اليه رنينه القديم . . فيذكرنى بأنى مازلت حيا . . وارفع السماعه متوقعا أن اسمع صوتا لا اعرفه . . لتنتهى المكالمه بالعبارة التقليديه (النمره غلط) . . لكنى سمعت صوتا نسائيا اعرفه . . صوت الزميله الفنانه مديحه يسرى . . رغم متاعبها الصحيه والنفسية تحريص دائما على السؤال عن صحتى وأحوالى . . إنها هى التى تحتاج للمواساه بعد أن فقدت وحيدها (عمرو) من الفنان الراحل محمد فوزى فى حادث تصادم مؤلم ومحزن . . ذهب ابنها العزيز فى

ريعان شبابه . . وهو بطل مصر في الكاراتيه . . كان قلبي الواهن معها . . لم اقدر حتى على رفع السماعه لاحادتها ولاواسيها . . هي التي تستحق المواساه . . انا عشت حياتي . . نجحت وفشلت . . كسبت وخسرت . . ضحكت وبكيت . . صبرت وتألمت . . عشت حياه عريضه عامرة بالاحداث . . عشت في قلب الاضواء . . ثم عشت الايام التي انحسرت فيها الاضواء التي سلطت على آخرين . . هذه هي الحياه . . فمن يكتشف الدرس والعبره ؟ لابقاء لشيء . . كل شيء يذهب وينزل . . المال . . والصحه . . ولا يبقى الا الذكرى الطيبه . . وانا احمل للفنانه العزيزة مديحه يسرى كل الذكريات الطيبه . . اعاد الى صوتها الحنون كل الذكريات السعيده . . كل الدفء الذي افتقدته في ابتعاد الاصدقاء واختفاء الخلان . . لكنى لا اعاتب . . ولا اوجه اللوم . . وأقول كان الله في عونهم . . ربما كانت لديهم مشاغلهم . . وظروفهم . . الحياه لا ترحم أحدا . .

لقد شاركتني مديحه يسرى افلامى الاولى . . مع فائن حمامه طبعاً . . لقد بدأت العمل السينمائى وانا في الثلاثينات من عمري . . لكن ظهورها معى في الافلام كان مقنعا . . لقد قدمت مع مديحه يسرى افلاما كثيره اعتز بها . . لقد وجدت (الوفاء الضائع) في صوت مديحه يسرى الحنون الذي يسأل عنى . . بينما هي احوج منى للسؤال . . لكن ايمانها بالله هو قوتها التي ستساعدنا وستحميها في مواجهة الصدمات التي تفاجئنا دون توقع او انتظار . . لقد اهتزت حياتى كلها لانى فقدت توأمتى عبد الرحمن . . فماذا تفعل هي ايضا التي فقدت وحيدها وهو في ريعان الشباب ؟ الله معها . . يقوينها ويصونها ويحميها . . صاحبة القلب الكبير . . مديحه يسرى . . التي تتذكر دائما وسط احزانها ان لها زميلا قديما اسمه عماد حمدي كان يتمنى ان يكون أول من يواسيها . . لكن قدميه تخذلانه . . وساقيه لا تقويان على حمله . . واصابعه المرتعشه اصبحت ترفع سماعة التليفون بصعوبة بالغة !

وحتى لا أكون جاحدا . . يجب أن اذكر شاديهِ التي عشت معها سنوات سعيده من عمري . . ثم باعدت بيننا الايام والظروف . . هي الاخرى دائغة السؤال عنى . . وتتابع باستمرار حالتى الصحيه . . شادية كانت وما زالت . . وستظل دائما . . الانسانه الرقيقه . . وسابقي حتى آخر يوم في حياتى اذكرها بالخير . . لقد شاعت الظروف أن نفترق في منتصف الطريق . . لكن قلبها المتسامح لم يملأه الحقد أو الكراهيه . . وبقي صوتها وصوت مديحه يسرى يذاكرانى دائما بالعالم القديم الذى هويته وأعطيته كل وقتى وجهدى . . عالم السينما الذى جمعنا . . أن أجمل صفات الانسان في رأى (الوفاء) . . وقد شعرت بوفاء مديحه يسرى لزميل قديم

شاركها ايام النجاح الأولى . . وشعرت بوفاء شاديه لزوجها السابق الذى ابتعد عنها مرغما . . لكن تأثرى زاد عندما وجدت واحدا من الزملاء الذين لم اتعامل معهم عن قرب يتذكرنى ويسأل عنى . . الزميل (محسن سرحان) يحادثنى ليطمئن على صحتى . . الحقيقه تأثرت . . ربما لانى لا انتظر تلك المكالمه ولا اتوقعها . . (ازيك دلوقت ؟)

ونسيت جحود الآخرين . . وحادثنى محسن سرحان بعد ذلك اكثر من مره . . فازداد تأثرى وعرفانى . . وازداد ايضا حنينى للوسط الفنى الذى ابتعدت عنه . .

عودة فتيه . .

واثناء فترة تواجدى فى مستشفى المعادى تحت اشراف الاطباء بعد (جلطة المخ) التى اصابتنى . . انعشتنى زيارة الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء السابق وابرز وانجح خريجى كلية التجارة . . جاء يسأل عن صحتى . . وليبلغنى بأن نقابة التجاريين قررت ان تمنحنى جائزة باعتبارى واحدا من خريجى كلية التجارة القدامى . . زيارة انعشتنى واعادت لذاكرتى المجهدة بعض ذكريات ايام الدراسة التى تبقى دائما اجمل الذكريات . . لأنها ايام الاحلام الوردية . . والآمال الكبيرة . . لكن حياتى كلها تبدلت وتغيرت فى اللحظة التى دخلت فيها استوديو مصر . . واصبح الباشكاتب خريج التجارة ممثلا . . ثم نجما لامعا . . ثم شهابا فقد الضياء . . ثم شبعا يوشك ان يختفى نهائيا من الحياه . .

واثناء تواجدى فى مستشفى المعادى لمست من جديد (شهامة) الزميله الفنانه تحيه كاريوكا . . كانت تعالج هناك من السمنه الزائدة التى لاحقتها بعد أن كانت ذات يوم من اكثر فناناتنا خفة ورشاقه . . لم تتركنى تحيه كاريوكا اعانى وحدى متاعب ايام الاصابه بالجلطه . . كانت الى جانبنى . . تطعمنى بيدها . . وتتابع حالتى الصحيه ساعه بساعه . . وليس ذلك بغريب من تحيه كاريوكا . . فالشهامة من طباعها . . وكل الوسط الفنى يعرف ذلك . .

كانت دائما تقف الى جانب كل مريض . . وكل الذين تفاجئهم الكوارث غير المتوقعة . .

بعد فترة العلاج عدت من جديد الى شقتى المتواضعة . . انتظر رفين التليفون . . انتظر كلمه مجامله تشعرنى بوجودى . . وكالعادة عاد ابنى (نادر) من عمله . . لكى يسأل عنى . . ويعرفنى باخبار الدنيا . . فانا لم اعد قادره على قراءة الصحف . . لكن ابنى نادر لم يكن وحده . . وكانت معه امه . .

زوجتي الاولى (فتحيه شريف) . . لم تات لى تسال عنى . . بل جاءت لى
تبقى الى جانبى ايامى الاخيرة فى الحياه . . ومن شدة تأثرى . . كدت ابكى . .
ونظرت الى نادر معاتباً . . لماذا يانادر تتعب امك . . خاصه وقد هاجمها مرض
القلب ؟ لكنها قالت لى .

(من زمان وانا عايزه آجى يا عماد . . ازاي اسيبك وحدك فى الظروف دى . .
من هنا ورايح ما تحملش هم . . احنا معاك . . جنبك على طول)
ولم اعد اشعر بانى وحدى . . اصبحت اجد من يقدم لى كوب الماء . . ومن
يساعدنى على الوقوف . . ومن يحمينى من الوقوع على الارض . . ومن يخفف
عنى الامى . . زوجتى الاولى الوفية (فتحيه شريف) التى شهدت معى ايام
نجاحى الاولى . . عرفتني والاضواء تغمرنى . . وجاءت تواسينى بعد انحسار
الاضواء . . وابتعاد الاصدقاء .

هذا رصيدي . . وهذه تركتي !

اربعون ضيفا وضيفة دخلوا بيتي فجأة . . دون انتظار او توقع . . وفي يوم عيد ميلادى السبعين . . فاشفقت على قلبى من شدة المفاجأة . . ومن انفعالاتى التى لم انجح فى اخفائها . . مااجملها تلك اللحظة التى يدق فيها باب انسان وحيد . . وعندما ينفتح الباب يجد امامه من كاد يسىء الظن بهم . . من كان يتصورهم قد نسوه . . لم اعد قادرا على الذهاب اليهم . . فجاءوا هم الى . . تذكروا رفيقا قديما تخلف فى الطريق . . ولم يعد قادرا على استكمال الرحلة . . فتوقفوا . . وعادوا اليه . . يواسونه . . وينعشون قلبه المريض بدفء المحبة . . ونور الامل .

رحت احملق فى الوجوه التى لم ارها منذ فترة بعيدة . . المنتج المعروف مطيع زايد . . الكاتب الصحفى لويس جريس وزوجته الفنانة سناء جميل . . سهير رمزى ووالدتها . . انور عبد الله وزوجته سعاد حسين . . يوسف شعبان والكاتب الصحفى مفيد فوزى الذى كان يحمل فى يده جهاز تسجيل . . وبعد دخول الضيوف الاربعة . . دخل اربعة رجال يحملون (تورتة كبيرة) . . وخروفا مشويا . . وانواعا من الاطعمة . . وحتى الملاعق والشوك والسكاكين احضرها معهم الضيوف الذين لم اكن انتظرهم . . ولأن المقاعد لم تكن كافية . . فقد جلس اغلبهم على الارض . . التفوا حولى . . فبددوا وحدتى . . وفرت الكأبة هاربة من جلسة الاحبة والخلان . . وتبادلت ابتسامة مع ابنى (نادر) . . كنا قبل قليل اربعة فقط . . ضمن احتفالنا الهادىء المتواضع . . نادر وزوجته . . وامه وزوجتى الاولى فتحية شريف . . وحفيدى عماد . . الذى جاءت بعده حفيدتى (مريم) التى ولدت يوم ٧ يناير فسميتها باسم السيدة العذراء مريم . .

ولكن بعد ان كنا اربعة . . اصبحنا اربعين . . وبعد ان كنا صامتين هادئين . . اصبحت الشقة صاحبة بالضحكات وبالتعليقات . .

تذكرت عيد ميلادى السبعين الذى تصادف ان نشرت صحيفة (الجمهورية) خبرا عنه . . . ويومها لم يتوقف رنين التليفون . . . وسأل عنى زملاء لم يسألوا عنى ابدا من قبل . . . السيدة زوزو نبيل مثلا . . . والزميل حسن يوسف . . . لكن تذكرهما لى . . . والاضواء بعيدة عنى . . . اسعدنى وأراح قلبى المريض . . . وامتدت سهرة الاربعين ضيفا حتى الصباح . . . كانوا لا يريدون أن يفارقونى . . . وكنت لا اريد ان افارقهم . . . لكن خوفهم من أن يرهقونى . . . وخوفى من تعطيل لهم . . . انهى احتفال عيد ميلادى السبعين . . . اذا كنت انا قعيد الفراش والمرضى . . . لا ينتظرنى عمل . . . ولا تشغلنى مسئوليات . . . فيجب الا تنسينى محبتهم بأن لهم اعمالا سيؤدونها فى الصباح . . . وبينما كانوا يصافحوننى مودعين كنت اسأل نفسى - هل ياترى سنلتقى مرة اخرى ؟

وعدت من جديد لحياة الصمت . . . والوحدة . . . والاكتئاب . . . ورغم المجهودات التى يبذلها ابنى نادر . . . وزوجتى الاولى فتحية شريف . . . ورغم ارتياحى لرؤية حفيدتى (مريم) . . . الا أن شريط الذكريات لا يتوقف . . . فيعيد الى ذاكرتى الاصدقاء والاطباء الذين كانوا قريبين من ايام النشاط . . . والعمل . . . والثراء . . . ونسوا طريق بيتى . . . ورقم تليفونى . . . فى ايام العجز . . . والوحدة . . . والاكتئاب . . . هل اطلبهم واعاتبهم . . . لا . . . لا . . . سأحاول أن اجد لهم اعدارا . . . سابحث عن مبررات تقنعنى . . . ربما كانت موانعهم قوية . . . وحتى لو لم تكن المبررات كافية . . . يجب أن اقتنع . . . فأشد ما يعذبنى الجفاء . . . ونكران الصديق . . . ونسيان العزيز . . .

الشيخ شعراوى . . على الباب

ولم تكد تمر ايام قليلة . . . حتى جاءت المفاجأة التالية التى لم اكن اتصورها . . . أن مجيء الاربعين ضيفا وضيافة يوم عيد ميلادى السبعين كان تصرفا محتملا . . . فى امكانهم أن يحضروا اذا ما تذكروا . . . واذا ما وجدوا لديهم الوقت لزيارتى . . . وزيارة الفنانين لزميل قديم مريض تصرف طبيعى . . . ومنتظر . . . وليس مستغربا . . . لكن عندما دق جرس الباب هذه المرة . . . لم يخطر ببالى ابدا ان يكون القادم هو (الشيخ محمد متولى الشعراوى) . . . وبقيت مذهولا للحظات . . . ولا ادرى ما اقول . . . وكأنى لا أجد الكلمات التى لم تسعفنى فى الترحيب بالعالم الجليل الذى لا اعرف كيف جاء الى بيتى . . . اننى لم اتشرف من قبل بلقائه . . . وعادة لا يلتقى رجال الدين برجال الفن . . . وآخر ضيف ينتظره الفنان هو رجل الدين . . . فللا سف

هناك فكره خاطئه في اذهان الناس عن الفنانين . . يتصوروننا نعيش فقط يومنا . .
ننشغل فقط بالحفلات والسهرات التى قد تكون مآجنه . . ولا نفكر فى الخالق عز
وجل . . ويتصورون ايضا ان حياتنا كلها اخطاء . . وهذه طبعا فكرة ليست دقيقة
تماما . . فالفنان يخطئ مثل كل البشر . . ويصحح اخطاءه ايضا مثل كل البشر . .
الفنان مثل كل انسان له قلب عامر بالخير . . وبالايمان . . بل ان الفنان اكثر من غيره
فى حاجة الى رحمة الله . . وغفرانه . . فحياتنا العجيبة وظروف عملنا الاعجب . .
والصدمات . . والعبر . . والدروس . . تقرب الفنان صاحب القلب الطيب من ربه . .
وتجعله ميالا اكثر لفعل الخير . . وغالبا ما تنتهى حياة الفنان بالاعتكاف . . واعتزال
الحياه . . والابتعاد عن الناس . . والتقرب الى الله . . وهناك فنانون عرفوا بطيبة
قلوبهم . . وبتقواهم . . وورعهم . . اقول على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر
الفنان الكبير الراحل (عبد الوارث عسر) . . كان مثالا رائقا للتقوى والورع . .
والصلاح . . كان سلوكه دائما يدعو للاحترام . . عاش حياة الفن داخل الاستديوهات
وخارجها . . وخالف الجميع . . لكنه ظل قويا بايمانه حتى آخر لحظة . . وهناك ايضا
فنانون قاموا ببناء المساجد التى يؤمها المصلون . . حسين صدقى مثلا . .
والكحلاوى . . ولم يفعل ذلك رغبة فى المباهاة كما يفعل الآن البعض . . بل رغبة فى
العمل الخير الصادق . .

وجلس الشيخ متولى الشعراوى ومن معه . . وانا انظر الى وجهه . .
وابتسامته الودود . . وكانى احلم . . مد لى يده ثم قبلنى . . وحاولت ان
اتكلم . . ان اقول شيئا اهلا سيدنا الشيخ . .

وكانت زوجتى الاولى فتحية شريف اكثر منى دهشة . . لكنى لمحت على وجهها
تعبير الفرح . . انها فخور بحضور الشيخ الجليل . . وبسرعة ازال الشيخ
الشعراوى جو الدهشة والرهيبة . . بتعليقاته المرحه انه ليس عابسا ومتجهما
مثل الآخرين . . بالعكس . . وجهه بشوش . . وابتسامته لاتفارق شفتيه . .
وكلماته كانت البلسم الشافى لجروحي النفسية . . وفهمت من كلامه انه قد قرا فى
صحيفة (اخبار اليوم) انى اعانى من حالة اكتئاب . . خاصة بعد وفاة شقيقى
التوأم . . فقرر ان يأتى لزيارتي مع وزير الاوقاف الاسبق (الأستاذ طعيمة) . .
وامام الشيخ متولى الشعراوى لا يملك المرء الا الانصات . . ان يستمع . . ان
ياخذ العبره . . وبقيت انصت الى حديثه المحبب الى النفس . . حديث النفوس
والايمان . . حديث الروح . . وملأت كلماته قلبى بالامل . . بل لن اكون مبالغاً
اذا ما قلت ان شعورى بالاكتئاب قد زال . . ستظل كلماته تضىء قلبى وروحى . .

وليتنى أستطيع أن أغادر بيتى . . حتى اذهب اليه شاكرا . . انه لا يكتفى بالقاء مواعظه . . بل يذهب بنفسه رغم انشغاله ليساعد من يعيش فى محنة . . كلماته الطيبة . . المؤمنة . . التى تداوى جروح النفوس الحزينة . . المكتئبة . . لقد فحصنى اكثر من طبيب . . كان التشخيص واحدا . . (حالة اكتئاب) . . لكن رغم كثرة الأدوية . . كان العلاج عسيرا . . لكن الشيخ الشعراوى عالج آلام روحى . . دون أن أسأله العون . . الحمد لله . . مازالت الدنيا بخير . . مازالت القلوب الكبيرة تتسع لآلام وأحزان المرضى الضعفاء . . وبعد هذه الزيارة التى لن انسها . . قررت ان انسى كل الجاحدين . . كل الذين هربوا وتركونى وحيدا . . كل الذين كانوا حولى ايام الشباب . . والثراء . . والنجاح . . ثم تلفت حولى من فوق سرير المرض فلم اجدهم . . ولم اسمع اصواتهم . . قررت بعد هذه الزيارة ان انسى كل ناكرى الجميل . . وأن اعيش بقلبى وروحى وبكل احساسى وجوارحى مع الخالق الأعظم . . انه الرجاء . . والشفاء . . والرحمة . . سبحانه رب العالمين .

جيل عايز يقبض

عندما اشعر بأن النوم يعاندنى . . أعود الى مذكرات أخى التوأم عبد الرحمن الذى سجل فيها تجاربه الطويلة فى مجال العمل الدبلوماسى . . البلاد التى عمل فيها . . والشخصيات الهامة التى التقى بها . . والمواقف الغريبة التى تعرض لها . . مواقف هامة فى حياة الناس . . وايضا فى حياة الشعوب . . سجل أخى تلك التجارب بأسلوبه الادبى الجميل فى كتاب (مذكرات ديبلوماسى غير مدونه) . . ولن أقول ان تلك الرحلات والتجارب تشبه ماكتبه (انيس منصور) . . فرحلات الكاتب المعروف أنيس منصور كانت تشمل العالم كله تقريبا . . لكن مذكرات أخى تشمل البلاد التى عاش فيها فترات طويلة . . والتى لم يكن يراها بعين سائح يقوم بزيارات سريعة وخاطفه . . بل هى مذكرات انسان عاش طويلا فى مواطن الاحداث . . فرأى ما تحت السطح . . وما لا يراه السائح المتجول فى انحاء الدنيا . .

وعندما اكون وحدي . . وعندما لا اجد من يقرأ لى بسبب ضعف بصرى . . أعود الى شريط الذكريات الذى لا ينتهى ابدا . . لأرى اجمل ما فى الناس . . واحاول الا افتش عن القبح فى نفوسهم . . ان كل اصدقاء الوسط الفنى اعزاء . . واعتقد انهم يبادلوننى نفس الاحاسيس والمشاعر الودية . . خاصة الزملاء القدامى رفاق رحلة العمر داخل البلاطوهات وعلى الشاشه . . لن اذكر كل الاسماء لأنى أخشى ان انسى سهوا واحدا منهم . . اننى احمل لهم فى نفسى كل الحب

والاعزاز . . . وليس معنى ذلك ان كل اصدقائي الفنانين من القدامى والعجائز فقط . . . من ابناء جيلي الذين عاصرتهم وعاصروني . . . بل هناك كثير من الفنانين الجدد الذين احمل لهم الود العميق محمود ياسين ونور الشريف وحسين فهمي ومحمود عبد العزيز . . . أن لكل واحد منهم طابعه الخاص المميز . . . الفرق واضح مثلا بين محمود ياسين وحسين فهمي ليس فقط من ناحية الشكل والملامح . . . بل من ناحية الشخصية وطريقة الأداء . . . لكل واحد منهما شخصيته المختلفة وطريقة ادائه المختلفة . . . نفس الشيء بالنسبة لنور الشريف الذى له شخصيته المحددة ولونه المميز . . . اما محمود عبد العزيز فهو (الوسط) بين الاثنين محمود ياسين وحسين فهمي . . . ولا اريد ان اقول ان هذا الجيل افضل من جيلنا . . . او ان جيلنا افضل من جيلهم . . . فكل جيل له مزاياه وظروفه الخاصة . . . ومن مزايا جيلهم انه جيل مزود بالثقافة الفنية اللازمة . . . نور الشريف مثلا تخرج في معهد الفنون المسرحية قبل أن يظهر على خشبة المسرح او شاشة السينما . . . وحسين فهمي تخرج في معهد السينما قبل ان يظهر على شاشة السينما . . .

لكن ارجو ان يحاولوا التقليل بعض الشيء من كثرة الظهور في الافلام حتى لا يكون ذلك على حساب مستواهم الفنى . . . ان الضغط عليهم اصبح شديدا . . . واصبح الواحد منهم يعمل في فيلمين وخمسة افلام في وقت واحد . . . وأرجوا الا يكون ذلك على حساب مستواهم الفنى . . . ولا اقول انى لم افعل ذلك . . .

لقد ارغمتنى الظروف على العمل في خمسة افلام دفعه واحده . . . وفي وقت واحد . . . حدث ذلك الموقف مرتين فقط في حياتى كلها التى قدمت خلالها (٤٥٠ فيلما) - اربعمائة وخمسين فيلما . . . كانت المرة الأولى في بدايات انتشارى الفنى . . . عندما فوجئت بأن أغلب المخرجين الكبار القدامى يرشحوننى لبطولة افلامهم . . . ولم اكن استطيع الرفض . . . كنت حريصا على علاقاتى الطيبة بهؤلاء المخرجين الكبار . . . وكنت ايضا امر بمرحلة اثبات وجود (الفتى الاول) الذى اسمه عماد حمدي . . . واعدت لنفسى جدولا دقيقا ينظم لى وقتى ويضمن لى التنسيق المطلوب . . . بحيث لا يؤثر عملى فى فيلم على فيلم آخر . . . ووضعت الجدول امامى . . . مواعيد ٢٤ ساعه . . . لا وقت يضيع . . . ورغم ذلك الجدول الدقيق الذى كنت احرص على تطبيقه بالدقيقة وبالثانية . . . ورغم انى وزعت الجدول على المخرجين الخمسة الذين كنت اتعامل معهم . . . ذهبت متأخرا عن موعدى المحدد لتصوير فيلم كان يخرج المخرج الكبير (محمد كريم) الذى كان معروفا بدقته وانضباطه فى العمل لدرجة مدهشة . . . لكن الله سلم . . . ومن الموقف بسلام . . . ولم يصرخ المخرج الكبير محمد كريم غاضبا . . . بل

حتى لم يعاتبني . . لانه كان يعرف مدى حرصى على مواعيدى . . لقد ادرك ان ظروفه اضطراريه خارجه عن ارادتي هي التي تسببت في تأخيرى غير المقصود . . وحرصت بعد ذلك على الا اكرر ذلك الموقف . .

لكن شئت الظروف بعد مرور اكثر من ربع قرن ان اعيش من جديد نفس موقف المشاركة في خمسة افلام في وقت واحد . . وحدث ان ذهبت متأخرا عن موعدى ربع ساعة فقط . . وفوجئت بالخرج الذى لم يكن كبيرا . . ولم يكن مشهورا . . بل كان حتى وقت قريب مخرجا مساعدا . . فوجئت به يصرخ في وجهى بطريقة عصبية مستفزه . . وتمايلت نفسى وأنا في غاية التعجب . . وتذكرت الكبير القدير محمد كريم . . وقلت سبحان الله الاستاذ الكبير تسامح . . ونصف المخرج لا يريد أن يتسامح . . يريد فقط لاسباب نفسية ان يستعرض نفسه داخل الاستديو امام بقية العاملين ليثبت وجوده الذى فشل في اثباته بعد ذلك على الشاشة !

الحقيقة اننى لم ارتكب ذلك الخطأ - الا مرتين فقط في حياتى كلها . . مرتين فقط انشغلت فيهما بتصوير خمسة افلام في وقت واحد . . ولكن مهما كان الفنان دقيقا ومنضبطا في مواعيده . . الا انه رغما عنه سيضطرب للذهاب متأخرا لأحد تلك الافلام . . فيعرض نفسه لسخافات غير مرغوبه . . ويعرض نفسه ايضا لحالة من عدم التركيز الذهني قد تؤثر على مستوى ادائه . . وقد تؤثر ايضا على صورته في اذهان محبيه من جمهور السينما . . لقد شاهدت منذ ايام فيلم (شاطئ الذكريات) على شاشة التليفزيون وشعرت بالفخر والاعتزاز لانى منتج ذلك الفيلم . . ولانى مشارك في بطولته مع بقية فنانيه وفناناته شكرى سرحان وشادية وعبد الوارث عسر وتوفيق الدقن والسيد بدير . .

بصراحه كان أهم ما يجمعنا روح الأسرة الواحدة التي لم اكن اشعر بها في ايامى الأخيرة داخل استديوهات السينما . . وكان يجمعنا ايضا ذلك (الصديق الرائع) . . صديق العمل . . وصديق الاداء . . والرغبة الموحده في تقديم فن سينمائى حقيقى . . لكن للأسف قد شعرت اثناء عملى في المسلسلات التليفزيونية الأخيرة التي شاركت في بطولتها . . شعرت بأن أغلب الجيل الجديد من الممثلين (جيل عايز يقبض) . . ان الواحد منهم لايسأل عن قيمة الدور . . بل عن قيمة الأجر . . الواحد منهم لا يقول ما هي القصة . . بل يسأل . . كم الاجر في الحلقة . . وكم عدد الحلقات التي سأظهر فيها . . وينشغل بعمليات حسابية . . وعندما يتأكد من أن دخله المادى في المسلسل معقول يوافق على العمل . . ويحرص على الظهور في كل حلقة . . حتى أن لم يكن وجوده ضروريا من الناحية الفنية . . بل ويحقد على الذين يظهرون في جميع حلقات

المسلسل . . أنه للأسف انطباعى الذى كونته فى الفترة الأخيرة عن جيل ممثل وممثلات التلفزيون . . أقولها وأنا حزين . . (جيل عايز يقبض) !
ومن الفنانين الجدد الذين احبهم جدا (محمود الجندى) ممثل يؤدى ببساطه . . بشكل طبيعى . . وبدون اى تكلف . . ممثل خفيف الظل . . حلو المعشر . . كما أن صوته جميل عندما يغنى . . ان محمود الجندى من اكثر الممثلين الذين احببتهم واعجبت بهم . . ولا انسى فاروق الفيشاوى . . واحمد زكى . . والاكويين محمد ووجدى العربى . . هؤلاء اعتبرهم مخلصين فى عملهم لدرجة التفانى . . والاحساس بالمسؤولية . . واحترام الآخرين الاكبر منهم سنا . . هؤلاء بالذات يتميزون باخلاقهم العالية . . والاخلاق بالنسبة للفنان هامة وضرورية مثل الموهبه . . والموهبة بدون اخلاق لا تكفى . . فلا بد أن يحترم الموهوب من حوله حتى يزداد احترامهم وتقديرهم له .

واحب هنا ان اذكر واقعة لها مغزى . . لقد رفض محمود ياسين ونور الشريف وحسين فهمى العمل مع نادية الجندى فى فيلم (بمبه كشر) الذى كنت قد انتجته لها . . وكان رفضهم ذكيا . . لقد رفعوا اجورهم . . ورفضوا العمل فى الفيلم . . ولكن بطريقه غير مباشرة . . انه رفض مذهب . . له معنى ومغزى لقد وجدت ناديه الجندى نفسها فقط فى تلك الادوار التى تتيح لها امكانيات الرقص . . و (الرديح) . . واستعراض المفاتن . . لكنها وضعت نفسها فى قالب واحد لن يكون فى صالحها مستقبلا . . لأن التكرار لا يفيد الفنان . . ولا يرضى جمهور السينما .

اننى لن انسى كل من وقفوا معى . . كل من مدوا لى ايديهم وقت المحنة . . كل من ارتفعوا فوق مستوى الخلافات العابرة . . فالانسان فى النهاية ذكرى . . ورغم مرض زوجتى الاولى فتحية شريف الا انها كانت الى جانبى فى المستشفى . . وفى ايامى الاخيرة فى الحياة . . ورغم انشغال زوجتى الثانية شادية . . كانت معى بمشاعرها الرقيقة . . وبصوتها الحنون عبر اسلاك التليفون . . ولم تكتف بذلك . . ارسلت سيارتها لى تنقلنى الى معهد القلب . .

البطل . . وكلمة النهاية !

وكما يحدث فى كل فيلم تأتى دائما كلمة (النهاية) . . وكما يحدث فى نهاية كل مسرحية يسدل ستار النهاية . . وكما يحدث فى كل مسلسل تأتى الحلقة الاخيرة . .
اننى انتظر نهاية الرحلة الشاقة الطويلة . . ولست نادما على اى طريق

سلوكه . . ولا على اى قرار اتخذته . . هذه حياتى . . وهذه اخطائى . . فلماذا
اخفيها واداريها ؟

ليس لى فى البنوك حساب . . وليست فى جيبى دفاتر شيكات . . وليس فى بيتى
غير ما يكفى يومى . . ورغم ذلك اعتبر نفسى صاحب اكبر رصيد . . اربعمائة
 وخمسين فيلما . . تلك هى تركتى . . ذلك هو رصيدى الوحيد . . فاعذرنى
يا ابنى العزيز (نادر) . . واعذرنى يا حفيدى (عماد) . . واعذرنى
يا حفيدتى الحبيبة (مريم) . . فانا لم اترك لكم العمارات . . والعقارات . .
والأطيان . . لم اودع لكم فى البنوك جنيتها واحدا . . لكنى اعتقد انكم ستغفرون لى
برصيدى الفنى . . افلامى . . وهو رصيد اعتز به ولا أخجل منه . . صنعته
بالتعب . . والعرق . . والمعاناة الطويلة . .

لكن العجيب انه كلما تحرك شريط الذكريات . . فانه يتوقف دائما امام نفس المشهد
الذى اصبح يلح على ذهنى الحاحا عجيبا . .

كنت ايامها اعيش مسلسل المرض الطويل . . تصلب الشرايين . . وجلطة
القلب . . ثم جلطة المخ . . ومتاعب الاعصاب . . وبعد اعتكاف طويل فى البيت . .
ارسل لى المخرج حسام الدين مصطفى لى اعمل معه فى فيلم (سونيا
والمجنون) . . لى اؤدى دورى (والد سونيا) . . الأب الذى كان ممثلا
معروفا . . ثم دارت الايام ليصبح مهملا فى زوايا النسيان لا يجد من يذكره . . ولا من
يواسيه . . ولا من يحمى ابنته من السقوط . . فتضطر لبيع جسدها لكل عابر طريق
لى تعيش وتبقى عائلتها فى عداد الاحياء !

اعجبنى الدور . . تعاطفت مع الممثل الذى كان لامعا . . فأصبح منهسيا . . الذى
كان ثريا . . فأصبح معدما . . الممثل الذى كان شابا وسعيدا فأصبح صديقا للكآبة
والامراض . .

لن انسى ذلك المشهد الذى لم يره المتفرج على الشاشة لانه قد حذف . . ذلك
المشهد الذى كان اولادى فى الفيلم يتسابقون على مساعدتى فى ارتداء البدلة
الجديدة التى ساعود بها الى الاضواء مرة اخرى . . فى دور جديد . . أو بمناسبة
عودة الاضواء لى فى فيلم جديد بعد خصام طويل . . لكن سعادتى بالدور تضيع
فجأة حين يعتذرون لى عن اداء الدور . . فاخلع بدلتى لاشترى بثمنها زجاجة
ويسكى أغرق فيها أحزانى . . وحوار رائع مع (مانولى) الذى يعمل فى البار
(بار مان) وأنا أغنى وأقول (طظ فيه يامانولى . .) . .

تعاطفت جدا مع تلك الشخصية . . فى فيلم (سونيا والمجنون) بل وتوحدت

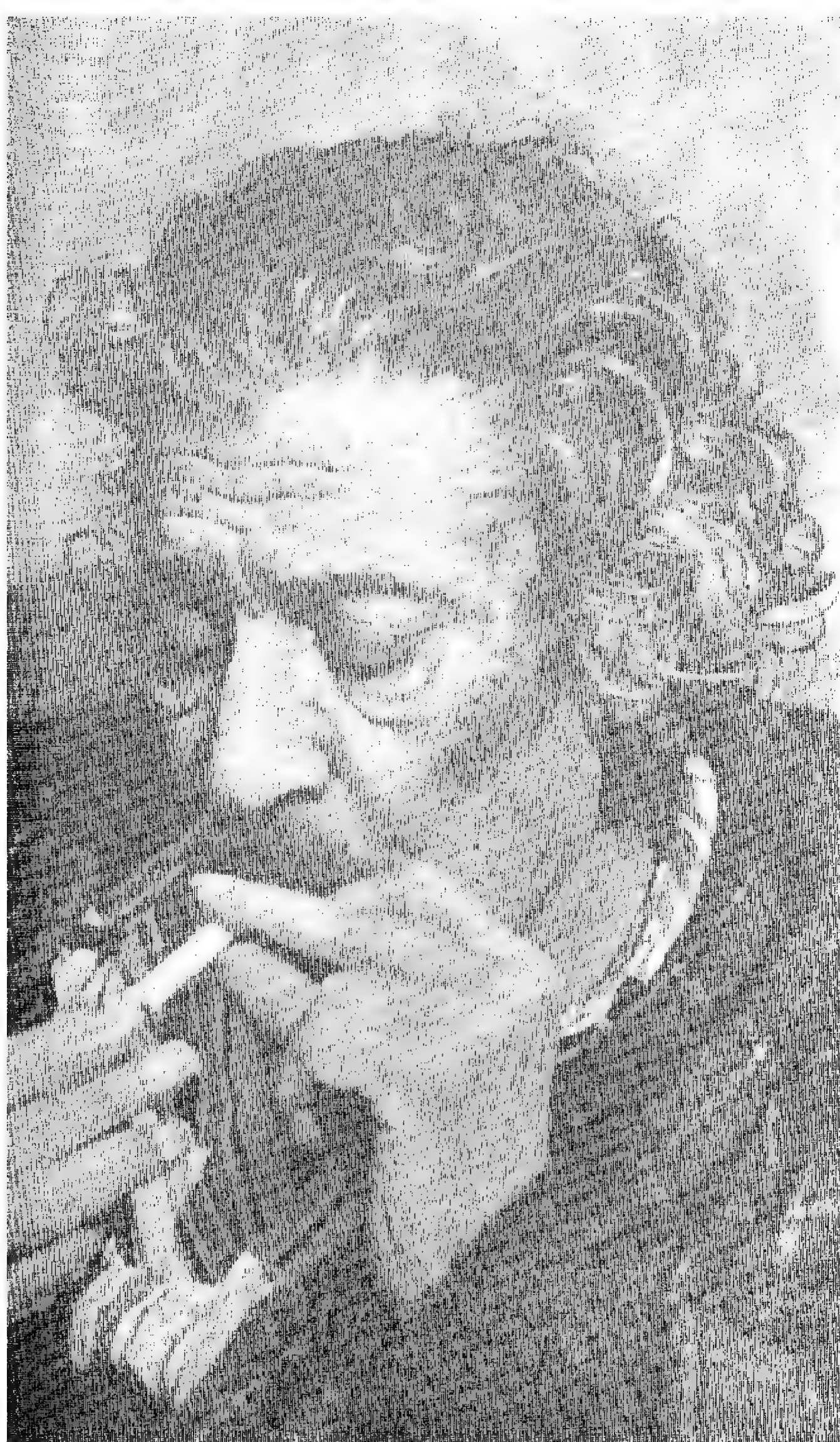
معها . . وجدت نفسى فى تلك الشخصية . . اننى مثل (والد سونيا) كنت مشهوراً . . وكنت غنيا . . وكنت . . وكنت . . ثم وجدت نفسى فجأة أعيش على هامش الحياة . . على حافة الدنيا .

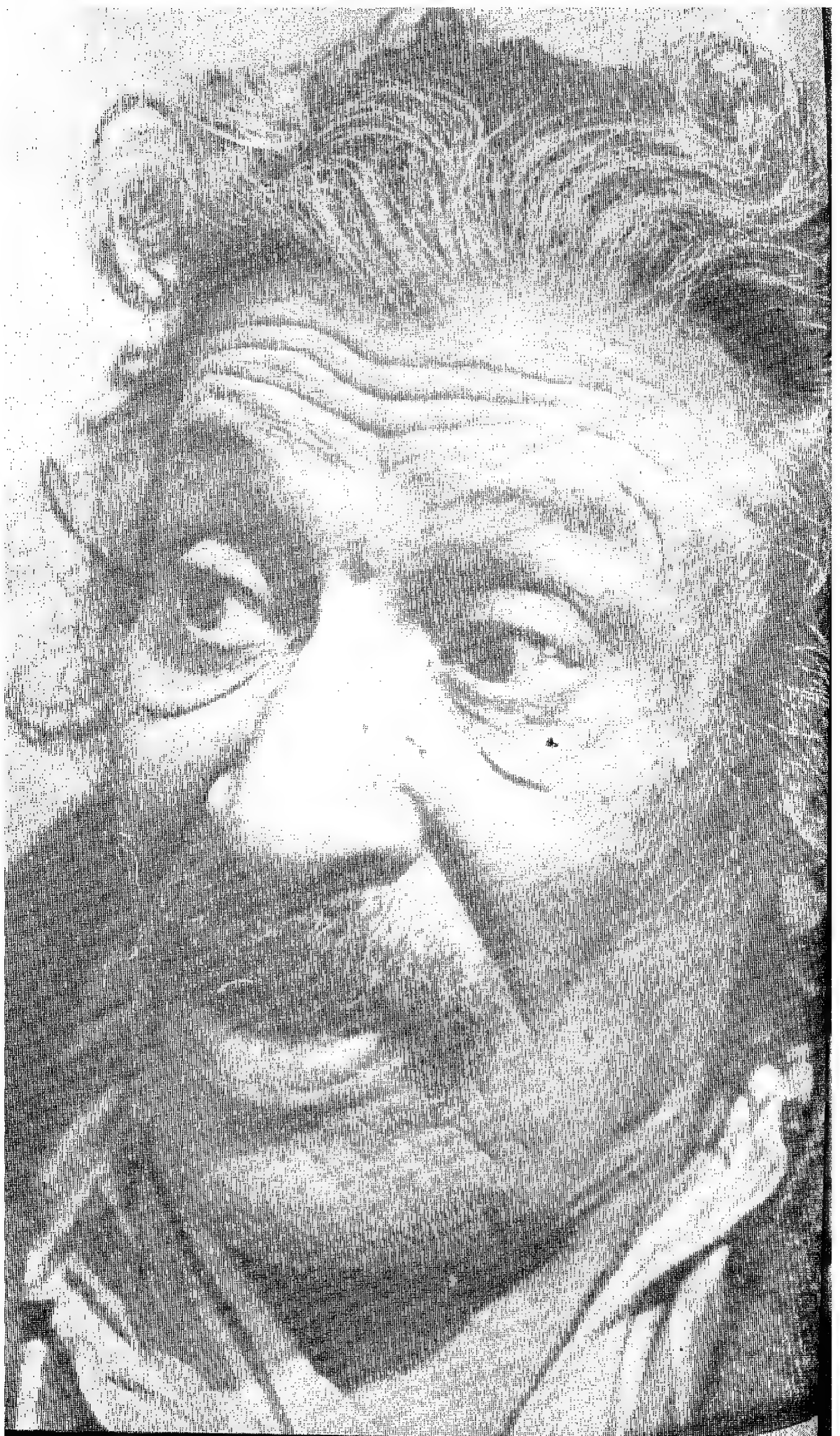
لكنى فوجئت وانا اشاهد الفيلم بعد انتهاء التصوير بان المخرج حذف مشاهد كاملة . . وشعرت بان الشخصية التى احببتها اختنقت . . وبأنى اختنقت معها . . وقلت للمخرج حسام الدين مصطفى - لماذا حذفتم كل تلك المشاهد . . لقد ضاعت الشخصية . . !

وفوجئت برده الصاعق - (تضع الشخصية . . لكن مستحيل أضيع الأبطال بتوعى . . نجلاء فتحى . . ومحمود ياسين . .)

فى تلك اللحظة بالذات ادركت الحقيقة الغائبة عنى . . انى لم أعد نجما . . ولا ممثلا اول . . اصبحت مجرد (سنيد) للأبطال الجدد . . لنجوم الدنيا الجديدة . . مجرد ممثل كان كبيرا . . وكان شهيرا . . وكان فى يوم من الايام (الفتى الاول) . . وكان حاصلا على اكبر الجوائز . . وكان . . وكان . . وكان طبعاً فعل ماضى . . ونحن ننسى الماضى بسرعة . . فى ذلك اليوم بالذات شعرت بأنى غريب عن السينما التى اعطيتها حياتى . . شعرت بأنى زائد عن الحاجة . . وخرجت من الاستديو لاعود الى بيتى . . لانتظر من جديد كلمة (النهاية) . . هكذا الدنيا . . وجوه تظهر . . وجوه تختفى . . اسماء تلمع . . واسماء تنطفىء . . وفى محطة السينما المزدهمة بالقادمين الجدد . . ننسى ان نقول للراجلين وداعا . . ننسى حتى ان نودعهم . . بل نتعمد اذلالهم . . وجرح مشاعرهم . . هكذا الدنيا . . صعود وهبوط . . نور وظلام . . ووسط السباق المجنون . . والزحام الخانق . . تسقط الجياد القديمة الاصيله لاهثة متعبة . . فنطلق عليها الرصاص . . ثم نتشغل بالتصفيق للجياد الفتية التى دخلت السباق . . والبقاء للأقوى . . للأصحاء . . اشعر بأنى أهبط . . أهبط . . الظلام من حولى يزداد . . النور يتلاشى . . انفاسى تتلاحق . . شكرا لله . . شكرا لله . . الآن استريح . . استريح !

النهاية









سمير صبرى

الذى قدم لكم « السلخانة »

يقدم لكم

منزل العائلة المسمومة

لإسماعيل ولى الدين

يلتقى فيه

عمر الشريف . فريد شوقي

نادية لطفي . يسرا

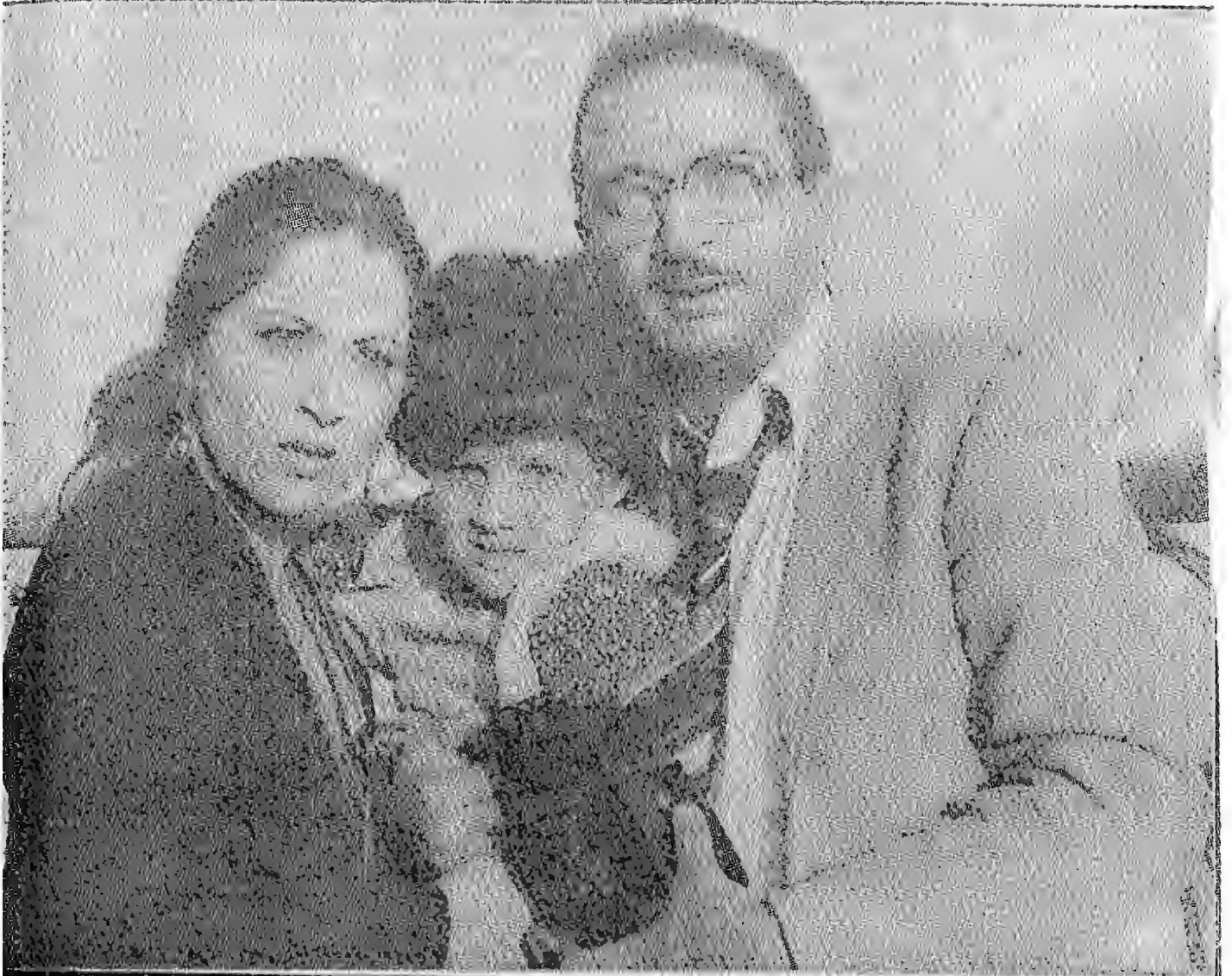


إخراج محمد عبد العزيز

ان. ج. فيم تقدم

نور الشريف بوسي

أحمد راتب على الشريف سناء يونس أحمد أبو عبيدة زين العسماوي



أخرا الرجال المحترمين

قصة وساريو وعيد همام إخراج سمير سيف

التوزيع الداخلي : شركة مصر للتوزيع ودور العرض
التوزيع الخارجي : شركة تراثيل العالمية

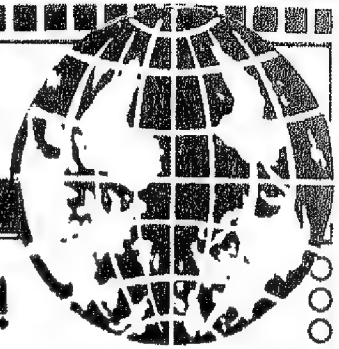
ماجد فيلم

انتاج افلام سينمائية - سنوات ١٩٦٨

يقدم ماجد حسن موافى

تليفون ٧٣٣٨٣٣

صديقى الوفى



بطولة :

- الكلب إريك
- من سلاح كلاب
- كلية الشرطة
- الطفل مأمون
- سعيد صالح
- فاروق الفيشاوى
- لبلبة - نجوى فؤاد
- أمين الهنيدي
- إخراج : فاضل صالح

أول فيلم روانى للأطفال
فيلم للكبار والصغار
فيكم يحبس أنفاسك بمهمة



مشوار عمر

سماء حسنى

أحمد زكى

فاروق الفيشاوى

إخراج : محمد خان

خرج ولم يمد

فريد شوقي - ليلى علوى

يحيى الفخرانى - عايدة عبد العزيز

توفيق الدقن - إخراج : محمد خان

سینما فیلیم .. یقدم

قصه امان عبدالقدوس
اضراج اشرف فہمی

نبیلہ عبید احمد زکی
عادل ادهم

محمد رضا
نبیلہ السید
احمد غانم
فاروق فتح اللہ

الراقصة والطبال

المنتج الفني

جبریل فوزی

مدير التصوير

عبد المنعم منی

إنتاج

فاروق فتح الله

التوزيع الخارجي الشركة اللبنانية للتجارة والسينما
"صباح اخوان"

التوزيع الداخلي شركة افلام النصر
محمد حسن رمزي وشركاه

الأخوة المتحدة للسينما

UNITED BROTHERS FILMS



إنتاج - توزيع - إنشاء دور عرض

تفخر بإنتاجها لمسام ١٩٨٤ في الأفلام

الكوميديا الاستعراضية الراقية

لك يوم يا بيه

حكاية في كلمتين

المفلسون

عندك واسطة

أعمل إيه ؟ مفيش غيره قدامى

٧٥٣١١١

٧٤٤٩٥٩



١٢ شارع طلعت حرب

القاهرة ج . م . ع

أفلام أشرف فهمي تقدم

عام ٨٤ - ٨٥

أضخم إنتاج عرفته السينما المصرية

المقبول

أول فيلم مصري عالمي



نادية الجندي الخاتمة

عادل أدهم في
بستان الدم
بطولة :

يسرا
عزت الملايكي
إلهام شاهين

قصة الكاتب الكبير نجيب محفوظ
بطولة : ممدوح عبد العليم
سميد صالح
مصطفى فهمي
أحمد غانم والمثلة الكبيرة مديحة يسري

المفاجأة الكبرى شادية تعود للسينما في لا نسألني من أنا

قصة : إحسان عبد القدوس
بطولة : يسرا
فاروق الفيشاوي
إلهام شاهين
هشام صالح سليم
سوسن بدر وأحمد غانم
والممثلة القديمة مديحة يسري

قريباً
قصة نجيب
محفوظ الخالدة
زقاق المدق

الاتحاد المصري
للإنتاج السينمائي
يقدم

نور الشريف فاروق الفيشاوى
شويكار معالى زايد

مع الممثل الكبير
محمد رضا
حاتم ذو الفقار
دلال عبد العزيز
سعاد نصر
أحمد عبد الوارث

قصة

اسماعيل ولي الدين

بيت القاضي

إخراج

أحمد السبعوى

مدير التصوير

وحيد فريد

المنتج الفني

سامى شلى

التوزيع الراجى شركة أفلام الاتحاد - عباس حلمي

الإنتاج القادم

الاستاذ يعرف اكثر

قصة فتحي أبو الفضل سيناريو أحمد صالح إخراج أحمد السبعوى

أفلام مصر الجديدة تقدم

نجوى إبراهيم
احمد زكى
عادل أدهم
نبلى طاهر
مشيرة

وصف الفيلم

إبراهيم

البرية



مخرج

لوئى فرانسيس

توزيع شركة أفلام مصر الجديدة

المنتج الفنى / ممدوح الليثى



من إنتاج محسن علم الدين
الشركة • الحب وحده لا يكفي
التي قدمت • أشياء ضد القانون
لكم • السادة المرتشون

تقدم : الرجل الذي عطس

سمير غانم • شهيرة • ليلى علوي • حسن مصطفى
• أحمد بدير • محمود القلعاوي • فاروق فلوكس
• المنتصر بالله • تصوير : سعيد شيمي
• إخراج : عمر عبد العزيز



يا عزيزي كلنا لصووس

• قصة إسماعيل عبد القدوس • إخراج
• سيناريو وحوار مصطفى محرم • حسين كمال

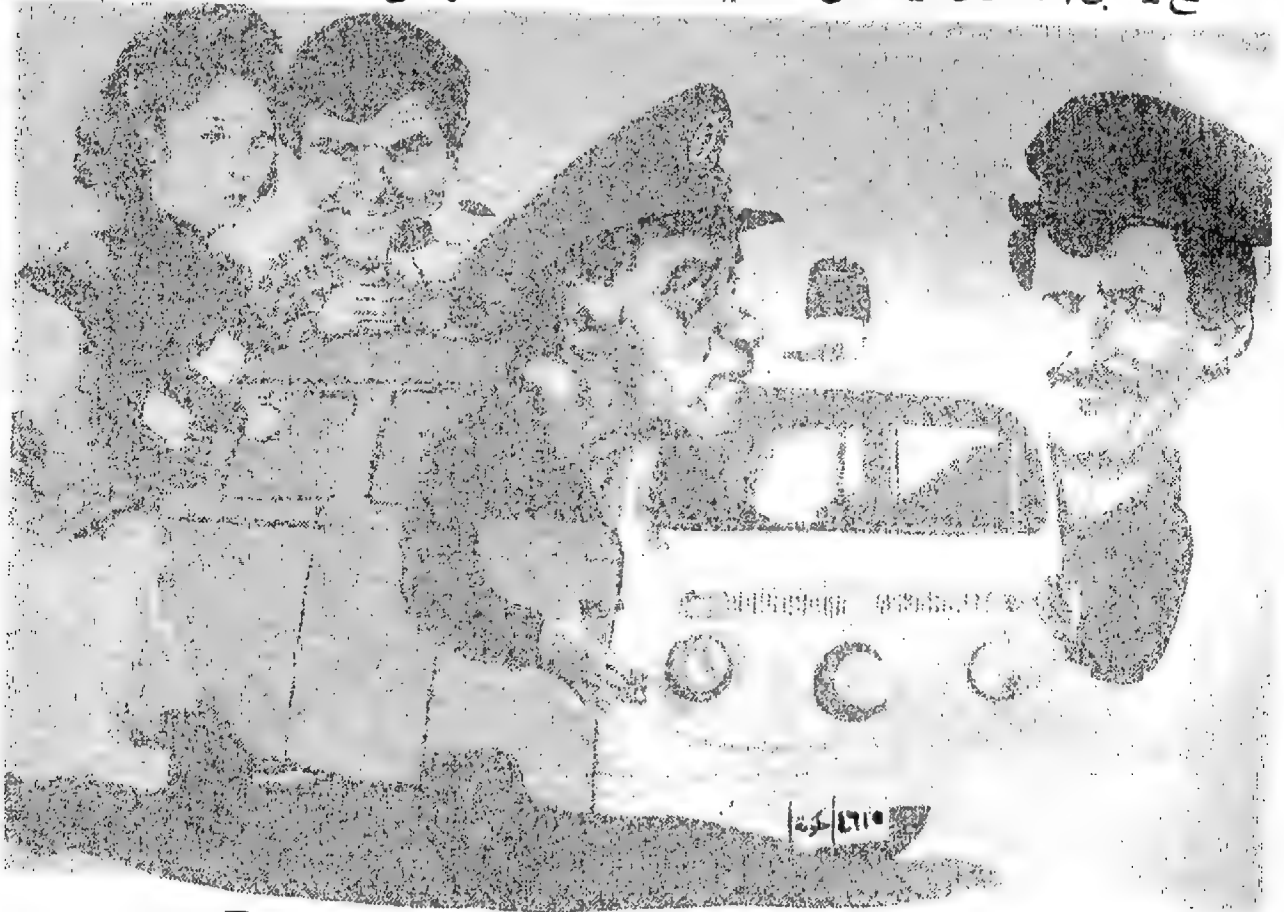


المال المأخوذ

• قصة نجيب محفوظ • إخراج
• سيناريو وحوار مصطفى محرم • أحمد ياسين

شہزاد قیام تقدم

سمیر غانم ★ ٹیلیہ
امین الہندی ★ اکرامی
مع لاعبی النادی الاہلی * وانطرب / بحر ابوجریثہ



احتیاجات و الاسعاف

مدیر تصویر کمالہ کریم
المنجی الفخري
بنیاری و ہوار و ارضی
صلاح کریم سید علی

التوزيع لصدر و صبيح اتحاد العالم : دولار فيلم

صفية العمرى فاروق الفيشاوى
معالي زايد



الارملة... والشيطان

إخراج بركات

قصة وسناريو / د. رفيق الصبان
حوار / هشام السلاموني
مدير التصوير / كمان كريم
التوزيع الداهلي / أفلام إيهاب الليثي

التوزيع الداهلي /
الشركة اللبنانية للتجارة والاستثمار السينمائي "صباح إخوان"

شهادة فيسليم

يقدم

من إنتاج فوزى إبراهيم :

ولكن شيئاً ما يبقى

إخراج : محمد عبد العزيز

مديحة كامل • محمود عبد العزيز • نورا • سميد صالح

التمليب والمغيب

إخراج : محمد عبد العزيز

يوسف شعبان • فؤاد المهندس • اثار الحكيم

التوزيع الداخلى التوزيع الخارجى الفيديو كاست
صوت الفن أفلام بديع صبحى الدقى فيديو فيلم

التحفة القادمة

أنت الشاهد الوحيد إخراج : نادر جلال

أحزان سقاية إخراج : أحمد السبعواوى

نور الشريف

مديحه كامل
ليلى علوى
سيد زيان
محمد رضا

نجاة الموجى
اميرة سليم
نعيمة الصغير
كريمة الشرف
زكريا موانى

حواش عن قمار

فيلم - سمير سيف

فقه - سيارو - حواش - بليغ - حمدي - عصام - فريد - واصف - فايز
احمد صالح
ابراهيم اللوجى

التوزيع الداخلى والفيديو : افلام مصر العربية ١٢ ش سليمان العيسى
التوزيع الخارجى : شركة ترايتل العالمية ١٤ ش الاسراء - المحمدين - القاهرة

الفهرس

ص

مذكراته . . أغرب من كل أفلامه ٥
 الفصل الأول :

الباشكاتب الذى أصبح الفتى الأول ١٣
 ليتنى أصبح طبيبا ! ١٥
 عندما ضربنى أبى ١٧
 البحث عن طريق ٢٠

الفصل الثانى :

زفة وداد غيرت مجرى حياتى ! ٢٢
 ودخلت مستشفى أبو الريش ٢٤
 الزفة التى غيرت اتجاهى ! ٢٦
 ودخلت التمثيا من باب الدعاية ٢٨
 أول فرصة بطولة ٣٠

الفصل الثالث :

زكى رستم . . أنقذنى من الجمهور الغاضب ٣٣
 بحر من الدموع ! ٣٦
 الورقة الرابعة ٣٨
 البريمادونة . . وأنا ٤٠

الفصل الرابع

فى قطار الرحمة . . أحببت شادية ٤٢
 وطلبوا منى الاستقالة ٤٥
 محطة منتصف العمر ٤٦
 أقوى من الحب ٤٨

الفصل الخامس :

عندما توقف القطار فى محطة الفراق . . وقلت وداعا ! ٥١
 ضابط الفرسان الرقيق ٥٤
 وضاع منى الكلام ٥٧

الفصل السادس :

حكاية الزوجة رقم ٣ ٥٩
 دعوة إلى خان الخليل ٦٠
 وقابلت شعراوى جمعة ٦٥
 « اليوم » صور نادرة لكافة مراحل حياته الفنية ٦٧

الفصل السابع :

- ٩٩ خسرت كل شيء من أجل بمبة كثر !
١٠١ لعنة راسبوتين !
١٠٣ وانتهت علاقتي بنادية الجندي
١٠٥ خسرت المال . . وكسبت نفسي

الفصل الثامن :

- ١٠٧ وقبلت أخي قبلة الموت !
١١٢ والقيت بالجائزة في الخرابة

الفصل التاسع :

- ١١٨ واحترق المشهد الأخير
١٢٠ وكان آخر أدوارى
١٢٣ اصوات من الماضى
١٢٦ عودة فتحية

الفصل الأخير :

- ١٢٨ هذا رصيدتى . . وهذه تركتى
١٢٩ الشيخ الشعراوى . . على الباب
١٣١ جيل عايز يقبض
١٣٤ البطل . . وكلمة النهاية

رقم الايداع بدار الكتب - ٢٤٠٥
لسنة ١٩٨٤

أفلام جرجس فوزي

تقديم

قصة الكاتب الكبير إسماعيل عبد القدوس

أرجسوك . . . أعطني هذا الدواء

إخراج حسين كمال

إنتاج جرجس فوزي

بطولة : نبيلة عبيد ومحمود عبد العزيز

فاروق الفيشاوي وماجدة الخطيب





إن حب جمهور السينما لأشهر فتيان الشاشة -
عماد حمدي .. لم يكن سببه الوحيد أنه ممثل كبير
وقدير .. بل لأنه كان المعبر بأدواره عن أنبل الصفات
والفضائل .. حنان الزوج .. تضحية الأخ الأكبر .. وفاء
الصديق .. تسامح الإنسان الطيب .. رقة الرجل المهذب ..
شهامة الفارس .. صدق العاشق ..
كان عماد حمدي دائما على الشاشة .. صورتنا
الجميلة .. وحلمنا الرومانسي .. وإنسانيتنا الضائعة وسط
عالم مجنون ..
إنه يمثل مرحلة هامة من مراحل تاريخ السينما
المصرية ..

أعطى السينما كل ما فيه من جهد ..
وإخلاص .. وأخذت أغلى ما عنده .. حياته ..

إير

Bibliotheca Alexandrina



0422245

الثمن ١٠٠ قرش

مطابع الاخبار